العدد الخامس

غرّة ذو القعدة / 1424هـ

الشيعة وقضية التكفير... مظلومون أم ظالمون؟؟

1- فرق ومذاهب (الإباضية).
2- سطور من الذاكرة (عام الجماعة.. الحسن بن علي يصالح معاوية 40هـ).
3- كتاب الشهر (الفساد في سوريا).
4- قالوا.
5- جولة الصحافة (مقتدى الصدر يعلن عن تأسيس جمهورية زفتى..!).
6- جولة الصحافة (مستقبل العراق والإقليم).
7- جولة الصحافة (دولة داخل الدولة).

8- جولة الصحافة (إيران: قتلى في مواجهات بين متظاهرين والحرس الثوري)
9- جولة الصحافة (أميركا والشيعة.. تحالف محتمل أم حقيقي؟).
10- جولة الصحافة (المصالحة الأميركية مع إيران).
11- جولة الصحافة (العراك في العراق).
12- جولة الصحافة (الحضور الإيراني في ترتيبات الملف الأفغاني).
13- دراسات (التجمعات الشيعية في العالم العربي – الكويت).

الشيعة وقضية التكفير
مظلومون أم ظالمون؟

في حوارات جديدة في قناة المستقلة حول الدعوة السلفية, طرح الأستاذ أحمد الكاتب أن الدعوة السلفية قد ظلمت الشيعة بتكفيرها إياها.

والعجيب أن الأستاذ أحمد الكاتب وهو من الباحثين الشيعة قد تعرض لهجوم حاد جداً وصل إلى تكفيره بسبب كتابه "تطور الفكر السياسي الشيعي" الذي توصل فيه إلى عدم وجود أساس لوجود الإمام الثاني عشر وقبل ذلك عدم ثبوت نظرية الأئمة الإثنى عشر, ذلك أن الشيعة تكفر كل من أنكر الأئمة الإثنى عشر وخاصة من عرف ثم أنكر!! مثل أحمد الكاتب.

وإليك ما يقرره الشهيد الثاني تجاه من ليس شيعياً (إن القائلين –من الشيعة- بإسلام أهل الخلاف –من ليس من الشيعة- يريدون صحة جريان أكثر حكام المسلمين عليهم في الظاهر, لا أنهم مسلمون في نفس الأمر, ولذلك نقلوا الإجماع على دخولهم النار) ... بحار الأنوار 8/368.

وأيضاً هذا آيتهم محمد حسين فضل الله حين تنازل عن بعض الفرعيات في المذهب الشيعي من أجل مكاسب أكبر وطعن في شيعيته ودينه! حتى ألف الكتب في الدفاع عنه وأنشئت بعض المواقع في الانترنت للهجوم عليه!

والعجيب أن الشيعة يدّعون أن أهل السنة يظلمونهم حين يطلقون عليهم وصف الكفر والشرك ولا يجدون غضاضة في تكفيرهم هم لأهل السنة بل وتكفير من لا يكفر أهل السنة من الشيعة!

يقول الشيخ حسين العصفورفي كتابه أجوبة المسائل الخراسانية ص 139(فالذي يظهر لنا من الأخبار هو كفر كل مخالف (للشيعة) وشركه وأنهم شر من اليهود والنصارى وأن من اعتقد أن لهم في الإسلام نصيباً فهو كافر).

ولو أردنا أن نعمل مقارنة بين الأسباب التي جعلت أهل السنة يكفرون بها الشيعة وبين الأسباب التي يكفر بها الشيعة أهل السنة لكانت ما يلي:

أسباب أهل السنة في تكفير الشيعة:

1-طعنهم في القرآن الكريم والادّعاء بأنه محرف.

2-تكفيرهم للصحابة ووصفهم لهم بالردة.

3-طعنهم في زوجات النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وخاصـة عائشة.

4-صرف العبادة والدعاء وعلم الغيب لغير الله عز وجل.

5-تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والمرسلين.

أسباب الشيعة في تكفير أهل السنة:

1-عدم الإيمان بحقيقة الأئمة الإثنى عشر في الحكم والخلافة.

2-إنكار عصمة الأئمة الإثنى عشر.

3-إنكار حياة الإمام الثاني عشر من أكثر من ألف عـام وحـتى الآن.

نـترك لكـل عاقـل الموازنـة بيـن الطرفيـن ليعـرف الحكـم الأصوب, ومن الذي يهدم أركان الدين والإسلام!

هذا مع أننا لا نرى كفر كل شيعي وشيعية لكن من اعتقـد هـذه العقائد الباطلة وهو يعرف بطلانها فهو كافر من أي جهة كانت.

ونهاية القول أن الشيعة تزعم أنها مظلومة بتكفير السنة لها, والحقيقة أنها ظالمة لنفسها باتباع عقائد باطلة ثم تكفير أهل السنة ثانية دون وجه حق وبعد ذلك الافتراء على أهل السنة والقول: أنهم ظالمون لهم.

فرق

الإسماعيلية

تمهيد:

الإسماعيلية هي إحدى الفرق الباطنية المنتشرة اليوم. و"الباطنية" لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة, الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلاً يذهب مذاهب شتى, وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص, فهو يعني أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفيّة وأسرار مكتوبة, وأن الشعائر, بل والأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار, وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور, ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق, علم الباطن.

ويدخل تحت مسمى الباطنية فرق عديدة أهمها: الاسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز.

إذاً الاسماعيلية هي إحدى الفرق الباطنية, التي تزعم أن للدين ظاهراً وباطناً: ظاهراً يظنه عامة الناس, وباطناً لا يعلمه إلا الخاصة والعلماء, وهو المراد والمطلوب من العقائد والأحكام الشرعية, وبذلك صرفوا أحكام الإسلام عن مرادها, وأوّلوها تأويلات باطلة.

النشأة وسبب التسمية:

سميت هذه الفرقة بهذا الاسم نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق الذي يعتبرونه أحد أئمتهم وقد توفي في حياة أبيه, وهنا افترقت الاسماعيلية مع الشيعة الاثنى عشرية, فالاسماعيلية اعتبروا إسماعيل الأحق بوراثة أبيه في الإمامة كونه الإبن الأكبر وأنكروا موته, أما الإثنى عشرية فقد نقلوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى (الكاظم), وهو الإمام السابع عندهم.

وهنا افترقت الاسماعيلية إلى فرقتين:

الأولى: منتظرة لإسماعيل بن جعفر, رغم موته في حياة أبيه, ونفوا موته, وادّعوا أن أباه خاف عليه فغيبه.

الأخرى: نقلوا الإمامة بعد جعفر الصادق إلى حفيده محمد بن اسماعيل بن جعفر.

أهم عقائدهم :

1- ضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل على أن يكون الابن الأكبر, وقد حدث خروج على هذه القاعدة عدة مرات.

2- من مات ولم يعرف إمام زمانه, ولم يكن في عنقه بيعة له مات ميتة جاهلية.

3- يضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله, ويخصونه بعلم الباطن, ويدفعون له خمس ما يكسبون.

4- يؤمنون بالتقية والسرية, ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث.

5- الإمام هو محور الدعوة الاسماعيلية, ومحور العقيدة يدور حول شخصيته.

6- الأرض لا تخلو من إمام (ظاهر) مكشوف أو (باطن) مستور, فإن كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً, وإن كان الإمام مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعاتهم ظاهرين.

7- يقولون بالتناسخ, والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً ووارث كل من سبقه من الأئمة.

8- ينكرون صفات الله أو يكادون لأن الله عز وجل –في نظرهم- فوق متناول العقل, فهو لا موجود ولا غير موجود, ولا عالم ولا جاهل, ولا قادر ولا عاجز, وليس بالقديم وليس بالمحدث, فالقديم أمره وكلمته والحديث خلقه وفطرته.

يقول الإمام الغزالي عنهم في كتابه "فضائح الباطنية": (المنقول عنهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب, واستباحة المحظورات واستحلالها, وإنكار الشرائع, إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم).

جذورهم العقائدية والفكرية:

نشأ مذهب الاسماعيلية في العراق, ثم فروا إلى فارس وخراسان وما وراء النهر كالهند وتركستان, فخالط مذهبهم آراء من عقائد الفرس القديمة والأفكار الهندية.

واتصلوا ببراهمة الهند والفلاسفة الإشراقيين والبوذيين, وبقايا ما كان عند الكلدانيين والفرس من عقائد وأفكار حول الروحانيات والكواكب والنجوم, وقد ساعدتهم سريتهم على مزيد من الانحراف.

وبعضهم إعتنق مذاهب مزدك وزرادشت في الإباحية والشيوعية كالقرامطة مثلاً.

وبالعموم فإن عقائدهم ليست مستمدة من الكتاب والسنة, فقد دخلتهم فلسفات وعقائد كثيرة أثّرت فيهم وجعلتهم خارجين عن الإسلام.

دولهم وجماعاتهم:

قامت فيما مضى للاسماعيلية دول وجماعات عديدة, بعضها ما زال موجوداً إلى وقتنا الحاضر.

أولاً: الاسماعيلية القرامطة:

كان ظهورهم في البحرين والشام بعد أن شقوا عصا الطاعة على الإمام الاسماعيلي نفسه ونهبوا أمواله ومتاعه فهرب من "سلمية" في سوريا إلى بلاد ما وراء النهر خوفاً من بطشهم, ومن شخصياتهم:

-عبد الله بن ميمون القداح الذي ظهر في جنوبي فارس سنة 260هـ.

-الفرج بن عثمان القاشاني (ذكرويه) في العراق وأخذ يدعو للإمام المستور.

-حمدان بن قرمط الذي ينسب إليه القرامطة, ونشر الدعوة قرب الكوفة سنة 278هـ.

-أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجيج.

-الحسن بن بهرام, الذي ظهر في البحرين, ويعتبر مؤسس دولة القرامطة.

-سليمان بن الحسن بن بهرام, وقد حكم ثلاثين سنة, وفي عهده حدث التوسع والسيطرة, وقد هاجم الكعبة سنة 319هـ وسرق الحجر الأسود لأكثر من عشرين سنة.

-الحسن الأعصم بن سليمان, الذي استولى على دمشق سنة 360هـ.

ثانياً: الاسماعيلية الفاطمية:

وهم قد نسبوا أنفسهم زوراً إلى فاطمة ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم, وقد أسس عبيد الله المهدي أول دولة اسماعيلية فاطمية في شمال أفريقيا سنة 297هـ وادّعى أنه المهدي, ثم جاء بعده المنصور بالله ثم المعز لدين الله, وفي عهده تم احتلال مصر سنة 358هـ, ثم العزيز بالله, ثم الحاكم بأمر الله الذي ادّعى الألوهية والذي كان يصدر الأوامر الغريبة والمتناقضة وكان يبالغ في القتل وسفك الدماء, واستمرت دولتهم حتى سنة 567 هـ (1172م) حيث زالت على يد القائد صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه, الذي أعاد مصر إلى مذهب أهل السنة والجماعة الذي كانوا عليه قبل احتلال الاسماعيليين الفاطميين لمصر, وأعاد الدعوة إلى الخليفة العباسي.

ثالثاً: الاسماعيلية الحشاشون:

وهم طائفة اسماعيلية انشقت عن الفاطميين, أسسها شخص فارسي اسمه (الحسن بن صباح) الهالك سنة 528هـ وانتشروا في إيران, وقد تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال وسموا بالحشاشين لأنهم كانوا يكثرون من تدخين الحشيش, وكان شعارهم في بعض مراحلهم (لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح).

من دعاتهم-إضافة إلى الحسن بن صباح- كيابزرك أميد, والحسن الثاني بن محمد, وركن الدين خورشاه الذي كان آخر حكام دولتهم التي أسقطها جيش هولاكو المغولي.

رابعاً: إسماعيلية الشام:

بالرغم من جهرهم بعقيدتهم, إلا أنهم ظلوا طائفة دينية ليست لهم دولة, ولا يزالون إلى الآن في "سلمية" وفي القدموس ومصياف وبانياس والخوابي والكهف.

ومن شخصياتهم (راشد الدين سنان) الملقب بشيخ الجبل.

خامساً: الإسماعيلية البهرة:

وهم إسماعيلية الهند واليمن, تركوا السياسة وعملوا بالتجارة, فوصلوا إلى الهند واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعُرِفوا بالبهرة.

وقد اتقسمت البهرة إلى فرقتين:

1-البهرة الداودية: نسبة إلى الداعي قطب شاه داود, وهم في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري, وداعيتهم يقيم في بومباي في الهند.

2-البهرة السليمانية: نسبة إلى الداعي سليمان بن حسن, وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم, ويسمون أيضاً (المكارمة) ويتركزون في منطقة "حراز".

سادساً: الاسماعيلية الأغاخانية:

وظهرت في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ومن دعاتهم: حسن علي شاه وهو الأغاخان الأول, وآغا علي شاه وابنه محمد الحسيني وكان يفضل الإقامة في أوروبا, وكريم وهو الآغاخان الرابع منذ 1957م. وقد مات مؤخراً.

للاستزادة:

1-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة-الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص 45.

2-الفرق بين الفرق – الإمام عبد القاهر البغدادي ص 62.

3-مذاهب الإسلاميين – د. عبد الرحمن بدوي – الجزء الثاني ص 87.

4-الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة – عبد القادر شيبة الحمد ص 77.

الراصد

سطور من الذاكرة

عام الجماعة
الحسن بن علي يصالح معاوية (40هـ)

الحسن بن علي رضي الله عنهما إمام من أئمة آل البيت الكرام, كيف لا, وهم الذين تربوا في بيت النبوة, ونهلوا من معين النبي صلى الله عليه وسلم, وتأسوا به واقتدوا بهديه.

وفي هذه السطور نستعرض سيرة أحد هؤلاء العظام ونعرض لموقف من مواقفه العظيمة, التي كان لها الأثر العظيم في التاريخ الإسلامي.

وُلد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب في السنة الثالثة للهجرة (625م), ونشأ في بيت أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمه فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم, وكان جدّه النبي صلى الله عليه وسلم يحبه هو وأخاه الحسين حبّاً جمّاً, وكان يقول فيهما:

((من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني, ومن أبغضهما فقد أبغضني)) أخرجه ابن ماجه.

وقال فيهما صلى الله عليه وسلم أيضاً: ((الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)) أخرجه ابن ماجه.

وخصّ النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بحديث عظيم, أخرجه الإمام أحمد في مسنده, يقول فيه صلى الله عليه وسلم عن الحسن: ((إن ابني هذا سيّد, وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين)).

وفي رواية البخاري ((إن ابني هذا لسيد, ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)).

وقد حقق الله على يد الحسن ما بشّر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن حفيده الحسن سيكون سبباً في الإصلاح بين طائفتين عظيمتين من المسلمين, وحدث ذلك سنة 40هـ عندما بايع المسلمون الحسن بعد استشهاد أبيه الإمام علي رضي الله عنه, وكان الحسن يشعر بالأسى لِما حلّ بالمسلمين من خلاف, وما دار بينهم من قتال, وكان يأمل بتوحيد كلمتهم ورصّ صفوفهم, وإن تطلب الأمر تقديم تضحيات جسيمة كالتنازل عن الخلافة.

وكان ميل الإمام الحسن إلى الصلح ظاهراً منذ يوم بيعته, إذ كان يقول: تبايعون لي على السمع والطاعة, وتحاربون من حاربت, وتسالمون من سالمت.

وقيل إن أوّل من بايعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري, وكان قيس في حياة الخليفة الإمام علي رضي الله عنه يقود أربعين ألفاً من المقاتلين, وكان الحسن رضي الله عنه يعتقد أن قيساً لا يرى مصالحة معاوية, فخشي أن لا يوافقه إن أقدم على الصلح, فقدم عليه في قيادة

ذلك الجيش عبد الله (عبيد الله) بن العباس, وكان ذلك من علامات إرادته للصلح.

لم يكن ميل الحسن نحو الصلح وحقن الدماء ناتجاً عن ضعف أو قلة عدد, بل لقد قال الحسن: كانت جماجم العرب بيدي, يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت, فتركتها (أي الخلافة) ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمين.

وبعد استشهاد علي رضي الله عنه, سار معاوية بعساكر الشام حتى نزل مسكن, وسار الحسن بعساكر العراق حتى نزل المدائن فالتقيا بمنزل من أرض الكوفة وهي النخيلة, فلما نظر الحسن إلى كثرة ما معه من الجند رغب في حقن دماء المسلمين, وبما عند الله تعالى فبادر إلى طلب الصلح, وقد جاء وصف قوة جيش الحسن رضي الله عنه في صحيح البخاري عن الحسن البصري قال: ((استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال)), وهذا يدحض مزاعم الذين قالوا أن الحسن كان ضعيفاً ومكرهاً على الصلح.

وقد جاء في البخاري أيضاً أن معاوية (والي الشام آنذاك) هو الذي بدأ بطلب الصلح عندما رأى كتائب الحسن, وقال: إن قتل هؤلاء هؤلاء, وهؤلاء هؤلاء, من لي بأمور الناس, من لي بنسائهم, من لي بضيعتهم, وبعث معاوية إلى الحسن رجلين من قريش هما عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز يفاوضانه على الصلح.

وتحقق الصلح بالفعل, وتنازل الحسن بالخلافة لمعاوية سنة 40هـ, وسمي ذلك العام عام الجماعة, إذ توحدت راية المسلمين بعد طول قتال وخلاف, وبعد الاتفاق على الصلح صعد الحسن على المنبر وحمد الله وأثنى عليه, وقال: ((فإن أكيس الكيس التقي, وإن أحمق الحمق الفجور, وإن هذا الأمر الذي اختلف فيه أنا ومعاوية, اما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم, أو يكون حقاً كان لامرىء أحق به مني ففعلت ذلك (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)..)) رواه البخاري عن الشعبي.

إن ما قدم عليه الحسن رضي الله عنه من تنازل للخلافة ابتغاء الإصلاح وحقن الدماء يدل على سمو أخلاق, ورحمة بالمؤمنين, قلّما توجد في شخص, لكنها نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم الذي بشّر بأن ابنه الحسن يصلح الله على يديه بين طائفتين من المسلمين, وكان ذلك بالفعل.

لكن الذي نريد أن نتطرق إليه أيضاً من خلال عرضنا لعام الجماعة وتنازل الحسن عن الخلافة هو قضية "الإمامة" التي يعتبرها الشيعة الإمامية ركناً من أركان الإسلام, لا يصح إسلام المرء إلا بالاعتقاد بها.

والإمام الحسن هو الإمام الثاني عند الشيعة الإمامية بعد أبيه الإمام علي رضي الله عنه, ويؤمن الشيعة بأن الإمامة منصوص عليها من الله, وأنّ الله هو الذي عين الأئمة وجعلهم معصومين عن الخطأ.

ولذا فإن اختيار الناس للحسن خليفة للمسلمين بنظام الشورى مثله

مثل أبيه رضي الله عنهما, ثم تنازل الحسن عن الخلافة يفند ما جاء به الشيعة من نظام الإمامة الإلهية, وزعم أن الأئمة الإثنى عشر منصوص عليهم, وأن هذه العقيدة ركن من أركان الدين, إذ لا يعقل أن الإمام الحسن –إن كان منصوصاً على ولايته- أن يتنازل عنها, ويدع هذا الأمر الخطير الذي دارت عليه جلّ عقائد الشيعة, تحت أي ظرف من الظروف.

يقول الباحث الشيعي أحمد الكاتب:

"ولو كانت الخلافة بالنص من الله والتعيين من الرسول, كما تقول النظرية الإمامية, لم يكن يجوز للإمام الحسن أن يتنازل عنها لأي أحد تحت أي ظرف من الظروف, ولم يكن يجوز له بعد ذلك أن يبايع معاوية, أو أن يدعو أصحابه وشيعته لبيعته, ولم يكن يجوز له أن يهمل الإمام الحسين (الإمام الثالث لدى الشيعة), ولأشار إلى ضرورة تعيينه من بعده. ولكن الإمام الحسن لم يفعل أي شيء من ذلك وسلك مسلكاً يوحي بالتزامه بحق المسلمين في انتخاب خليفتهم عبر نظام الشورى".

لقد كان توجه الإمام الحسن نحو الصلح هو الذي جعل الشيعة تختار أخاه الإمام الحسين إماماً ثالثاً حيث أنه اختار طريق القتال ثم تسير الإمامة إلى ذرية الحسين, بدلاً من الحسن رغم أن الإمامة منصوص على أنها تنتقل من الإمام إلى ابنه الأكبر, وهو الأمر الذي خالفه الشيعة عدة مرات بغية تحقيق أهداف بعيدة عن جوهر الدين.

لم يكن موقف الإمام الحسن هذا الوحيد من مواقف الأئمة الذين أبطلوا بسياساتهم وسلوكياتهم مبدأ الإمامة المزعوم, إذ أن الإمام علي بن موسى الرضا, وهو الإمام الثامن لدى الشيعة كان ولي عهد الخليفة العباسي المأمون سنة 201هـ وظل الرضا ولياً للعهد حتى وفاته سنة 203هـ[1] .

للاستزادة:

1- الذّريّة الطاهرة النبوية – الإمام أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي.

2- مناقب علي والحسنين وأمهما فاطمة الزهراء – محمد فؤاد عبد الباقي.

3- العواصم من القواصم – القاضي أبو بكر بن العربي ص 133.

4- الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف – د. حامد الخليفة ص 596.

5- حقبة من التاريخ – عثمان الخميس ص 96.

6- تطور الفكر السياسي الشيعي – أحمد الكاتب ص 17.

[1] ( ) نشر في العدد الثالث من الراصد تحت هذه الزاوية تفصيل في هذه القضية.

كتاب الشهر

الفساد في سورية

(1963-2000)

حقائق وأرقام

تأليف: د. بشير زين العابدين.

قد لا تبدو سورية في ظل البعث وأسرة الأسد خروجاً عن القاعدة في دول العالم الثالث التي ينخرها الفساد, واستغلال ثروات البلاد, إلا أن كتاب "الفساد في سورية" الصادر عن مركز الدراسات الإسلامية في برمنجهام في بريطانيا يضعنا أمام حالة من الفساد لها خصوصية, ويأخذ الفساد فيها بعداً طائفياً عقائدياً لا لبس فيه, حيث يحكم العلويون النصيريون سوريا بشكل مطلق منذ انقلاب حافظ الأسد سنة 1970, وإن كان الوجود والتأثير النصيري موجودين قبل ذلك الانقلاب.

ويشير الدكتور بشير زين العابدين في مقدمته إلى أنه بالرغم من وجود الفساد في الفترة السابقة لحكم البعث, أي قبل سنة 1963, وهي السنة التي بدأ بها الكتاب, إلا أن سياسة النظام في الفترة اللاحقة له قد أدّت إلى ترسيخ هذه الأمراض التي كانت لها نتائج وخيمة على التطور الاقتصادي لسورية.

أقسام الكتاب

يقسم المؤلف الكتاب إلى سبعة فصول, يحدد الفصل الأول الجذور التاريخية لمعتقدات النصيرية, ونمط الفساد الاجتماعي الذي نشأ كنتيجة حتمية للتوغل في طريق الغلو والانحراف.

ويعنى الفصل الثاني بتطور مؤسسات الفساد التي تحكم البلاد من خلال حزب البعث والجيش وأجهزة الاستخبارات, ويتتبع الفصل الثالث مسيرة انحراف المؤسسات الاقتصادية التي أعيد توجيهها لتشكل عصب حياة السلطة الحاكمة.

ويشكل الفصلان الرابع والخامس محاولة لتحديد أبرز المسؤولين عن الجرائم الاقتصادية والإنسانية التي ارتكبت بحق الشعب السوري, ويقدم الفصلان السادس والسابع استعراضاً تاريخياً لحملات مكافحة الفساد التي شنها النظام الحاكم ضد نفسه في معارك إعلامية مصطنعة تهدف إلى تقوية الحكم محليّاً, وكسب التعاطف الدولي.

ويختتم المؤلف بحثه بنظرة متمعنة في الأسس التي قام عليها حكم بشار الأسد سنة 2000 وهي الفترة التي انتهى عندها الكتاب, وتركيبته الجديدة التي نشأت على عين والده, والتي تتمثل في تكريس الهيمنة الطائفية عن طريق تبني إصلاحات شكلية تسهم في تأجيل التغيير الحقيقي الذي يشكل خطراً على النظام.

جذور الفساد:

يرجع المؤلف جذور الفساد في الحكم الحالي في سوريا إلى الفساد في عقائد النصيرية التي ينتسب إليها رئيس سوريا الحالي, وينتسب إليها معظم القادة المؤثرين ورؤساء الأجهزة العسكرية والأمنية.

ويمكن تلخيص أبرز عقائد النصيريين فيما يلي:

1-عقيدة الحلول والاتحاد وتأليه علي بن أبي طالب.

2-تناسخ الأرواح ونفي البعث والحساب.

3-إسقاط التكاليف الدينية, وإهمال الفرائض والامتناع عن إقامة المساجد وعمارتها.

4-التأويل الباطن للنصوص وسرية طقوسهم وأعيادهم واستحلالهم للمحرمات كشرب الخمر وغيره.

وقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسائله بأنه لا تجوز مناكحتهم ولا تباح ذبائحهم ولا يصلى على من مات منهم. وقال في موضع آخر: "وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من أكبر الكبائر وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم فإنهم أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم, وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين ولا ريب أن جهاد هؤلاء من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات".

وانعزل النصيرية في بلاد الشام دينياً واجتماعياً عن المجتمع, لما لديهم من حقد وكراهية لأهل السنة, وهذه الكراهية كانت سبباً في وقوفهم مع الصليبيين ضد صلاح الدين الأيوبي, ومع التتار ضد الظاهر بيبرس, ومع الصفويين ضد العثمانيين.

وفي فترة الاستعمار الفرنسي, تحفل المستندات الفرنسية بالمراسلات مع زعماء الطائفة الذين طالبوا بالانفصال الكامل عن أهل السنة في سوريا, وتواطؤهم مع المستعمر ضد المسلمين, ففي تقرير بعثه الجنرال غورو للحكومة الفرنسية سنة 1919 عن تعاون النصيريين معه قال:

"وأفيدكم بهذا الصدد أن النصيريين –الذين يستيقظ حسهم الإقليمي- قد ساعدوني كثيراً في قمع الفتنة التي أثارها الشريف (فيصل) في منطقة تل كلخ, فقد تلقيت برقية تفيدني بأن 73 زعيماً نصيرياً يتحدثون باسم القبائل يطالبون بإنشاء اتحاد نصيري مستقل تحت حمايتنا المطلقة".

النشأة الاجتماعية للنصيريين:

نشأ النصيريون في قرى معزولة وفي مناطق جبلية ووعرة مما أدى إلى شعور الغالبية من أبناء الطائفة بعقده النقص والقلة المحتقرة, وغدت عقائد النصيرية بحكم العزلة والجهل إلى ما يشبه عادات المجوس, حيث يبيحون إشاعة البنات والأخوات والأمهات, ولا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون مثل المسلمين, وإن لهم نظرة مختلفة في المحرمات مثل أكل الميتة ولحم الخنزير, بينما يشكل الخمر عنصراً رئيسياً في طقوسهم الدينية.

وقد كان العلويون يعيشون أوضاعاً اقتصادية سيئة دفعتهم للعمل في المهن المبتذلة, ويشير الكاتب البريطاني باتريك سيل وغيره إلى أنه حتى سنة 1950 كان هناك حوالي عشرة آلاف فتاة علوية يعملن كخادمات في منازل بدمشق.

وإضافة لذلك كانت المهنة الرئيسة للعلويين هي الزراعة, كما أن الكثيرين منهم انضموا إلى الجيش في الوقت الذي كان فيه أهل السنة من أبناء المدن يتجنبون هذه المهنة, وكانت النتيجة هي هيمنة العلويين على الجيش بعد فترة الانفصال.

وحيث أن هؤلاء النصيرية بلغوا هذا المستوى من الانحراف العقائدي, والانحطاط الاجتماعي والاقتصادي, وبدافع الحقد والكراهية, فقد كان من الطبيعي بالنسبة لهؤلاء النصيرية أن يسيروا بالمجتمع السوري المسلم السني إلى الهاوية, ويوقعوه في براثن الانحطاط والفساد الديني والاقتصادي والاجتماعي والفكري.

وبناء على ذلك, قامت سرايا الدفاع والوحدات الخاصة سنة 1983 بدكّ مدينة حماه, وقتل حوالي 30 ألفاً من سكانها وهدم مساجدها, وأقام النظام على انقاض بعضها كنيسة كاثوليكية إضافة إلى معهد رياضي للبنات وبركة سباحة مختلطة, وفي نفس العام كانت القوات التابعة لرفعت أسد شقيق رئيس الجمهورية تجبر المسلمات على نزع حجابهن.

وفي أوائل سنة 1984 كان النصيريون يبذلون جهودهم –من خلال "جمعية المرتضى" برئاسة جميل أسد شقيق رئيس الجمهورية- لدعوة أهل القرى المجاورة للساحل السوري لمذهبهم حيث زعموا أن هؤلاء الأهالي كانوا أصلاً نصيريين وأجبروا على اعتناق الإسلام في فترة الحكم العثماني.

مؤسسات الفساد:

وبالرغم من وجود سلطة تشريعية وتنفيذية ظاهرية في سوريا يمثلها مجلس الوزراء ومجلس الشعب, إلا أن الدلائل تشير إلى وجود سلطة حقيقية هي الحاكم الفعلي للبلاد يمثلها الجيش وحزب البعث والمخابرات.

ومن الواضح أن النظام يضع في الواجهة دائماً شخصيات سنّية تمثل الأغلبية في البلاد, بينما يستأثر النصيريون من خلف الستار بمقاليد الحكم في سوريا, بل إن بعض المهتمين بالشأن السوري يجعل حزب البعث الذي يمسك بمقاليد السلطة في سوريا منذ سنة 1963 غير مؤثر وغير فاعل, حيث السلطة بيد النصيريين الذين يسيطرون على جميع المؤسسات الفاعلة ومن ضمنها حزب البعث, وبهذا الصدد ينقل المؤلف عن ديفيد هيرست قوله:

"إن البعثيين لا يحكمون البلاد بأي حال, بل العلويون هم الحاكمون الفعليون, فهم يديرون البلاد نظرياً من خلال الحزب, ولكنهم يديرونها عملياً من خلال تضامنهم السري داخل الحزب والمؤسسات الهامة الأخرى, فخلف الواجهة نجد أن صلة القرابة بالرئيس العلوي هي أعظم الصفات لتقلد السلطة وذلك عن طريق الأواصر العائلية أو الطائفية أو العشائرية".

1-حزب البعث:

كان الحزب ومع تسلمه السلطة سنة 1963 وعاءً يضم الانتهازيين والنفعيين, حتى بلغ عدد المنتسبين له 540 ألفاً بحلول سنة 1985, ومن أجل بسط هيمنة الحزب على المجتمع بدأت مرحلة من التنسيب غير المنظم, وأدّت هذه السياسة (التجميع) إلى تفجر الخلاف بين أعضاء الحزب وانقسامهم إلى قوميين وقطريين, واشتراكيين ثوريين ومعتدلين, كما أن سياسة التجميع هذه أدّت إلى ضم أعداد كبيرة من أبناء الطوائف النصيرية والدرزية والإسماعيلية الذين ركبوا موجة البعث. وكان من نتائج سيطرة النصيريين على حزب البعث أن فرّ عدد من مؤسسي البعث من غير النصيريين مثل ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار, وتبين أن الحزب قد تحول إلى جهاز تستخدمه السلطة الخفيّة من أبناء الطائفة لتحقيق المكاسب والإثراء.

2-الجيش:

تعود مشكلة الطائفية في الجيش السوري إلى الفترة 1920-1945 عندما قام الفرنسيون بتشكيل "جيش الشرق" الذي يتكون من وحدات عسكرية ينتمي أفرادها إلى الأقليات الدينية ليقوم أفراده بقمع المظاهرات وضرب المقاومة الشعبية.

ونظراً لهيمنة العائلات السنّيّة على العمل السياسي بعد الاستقلال فقد وجد أبناء الطوائف داخل المؤسسة العسكرية مجالاً واسعاً لتحقيق طموحاتهم وبسط نفوذهم, مما أدى إلى انقسام الجيش على أسس طائفية وتعدد الولاءات, وانتشار الفوضى التي أسهمت في هزائم 1948 و 1967 و 1973.

وتستهلك المؤسسة العسكرية 60% من الميزانية السنوية, ويزيد تعداد الجيش عن 400 ألف عنصر, ولا تخضع حساباته لأي رقابة أو تفتيش حكومي, إنما يخضع ويرتبط مباشرة برئيس الجمهورية.

وفي ظل الدولة النصيرية يلاحظ على الجيش أمران:

الأول: تولي النصيريين معظم المناصب القيادية بحيث تزيد نسبة الضباط النصيريين في الجيش عن 90%, وكان ذلك بالتدريج عن طريق تصفية العناصر السنيّة ثم الدرزية والاسماعيلية أولاً, وفي المرحلة الثانية تأسيس فرق ينتمي أفرادها إلى الطائفة الحاكمة, كان لها فيما بعد الدور الكبير في المذابح التي ارتكبت ضد المسلمين من أبناء الشعب السوري, كما في جسر الشغور وحلب وسجن تدمر سنة 1980 وفي مدينة حماه سنة 1982.

الآخر: تضخم هذه المؤسسة التي صارت تمارس السيطرة على الشؤون السياسية والاقتصادية وتفرض سياساتها على الحكومات بدلاً من أن تخضع لها.

ولا يخفى حياة البذخ والثراء التي يعيشها الضباط, واستغلال مناصبهم, وابتزاز المواطنين الأمر الذي حوّل هذه المؤسسة إلى جهاز ضخم يمتص خيرات البلاد.

3-المخابرات:

إن الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها أقلية لا تتجاوز نسبتهم 8% من المجتمع أن تحكم سيطرتها على أنظمة الحكم ومؤسسات الدولة هي تطوير أجهزة القمع, فقد تم تأسيس 12 جهازاً أمنياً مرتبطاً برئيس الجمهورية, والمناصب العليا فيها حكر على أبناء الطائفة النصيرية, حيث كان يتربع على قمتها علي حيدر ومحود الخولي وعلي دوبا, حتى استبدلوا بآصف شوكت وبهجت سليمان من الجيل الجديد وكلهم من النصيريين.

وتتراوح التقديرات عن عدد الموظفين في هذه المؤسسة القمعية الرهيبة بين 200 و 300 ألف عنصر (أي بمعدل مخبر واحد لكل 60 مواطناً) يستخدمون 17 ألف سيارة, وقد استطاعت إحدى منظمات حقوق الإنسان أن تحصي أكثر من ثلاثين سجناً رئيساً تابعاً لأجهزة الاستخبارات في مدينتي دمشق وحلب فقط, بينما تتسع أروقة المخابرات في دمشق وحدها للتحقيق مع أكثر من ألف شخص في وقت واحد.

الارتزاق الدولي:

وهو جانب من جوانب الفساد في السياسة السورية ويقضي بتحويل المواقف الرسمية والفرق العسكرية إلى مادة أوليّة يبيعها النظام لمن يدفع له.

وتشكل هذه السياسة 60% من الميزانية السنوية لسوريا, ومن الأمثلة على ذلك:

1-الجولان: حيث أدّى سقوطها في ظروف مشبوهة إلى أن تقدم الدول العربية ملياري دولار سنوياً كدعم لصمود سوريا المفترض.

2-العلاقة مع الولايات المتحدة: التي كانت تسعى لإبعاد سوريا عن الاتحاد السوفييتي, وشجعته لتبني سياسة عدائية ضد الفلسطينيين والعراق, التوجه نحو حلف سعودي مصري, وكانت المساعدات الأمريكية تتدفق على سوريا بمعدل 60-100 مليون دولار سنوياً بموجب اتفاقيات تم إبرامها في 27/2/1975 ناهيك عن المساعدات الغربية الأخرى.

ثالثاً: الحرب العراقية-الإيرانية سنة 1980-1988, حيث وقف النظام السوري في صف إيران ضد العراق على عكس بقية الدول العربية التي ساندت العراق, واستطاع بذلك الموقف الحصول على هبة نفطية سنوية مقدارها 200 مليون دولار, إضافة إلى كميات أخرى بأسعار مخفضة, وقروض بمبلغ خمسة مليارات.

رابعاً: أزمة الخليج الثانية سنة 1990, حيث سارع حافظ أسد إلى الوقوف إلى الولايات المتحدة وتحالفها ضد العراق مستفيداً بذلك مبلغ 500 مليون دولار سنوياً ومنذ سنة 1991, كما تعهدت الدول الخليجية بدفع ملياري دولار لسوريا جراء موقفها من هذه الحرب.

دور الجيش السوري في تجارة المخدرات:

تشير الكثير من الأدلة إلى تورط عدد من الضباط السوريين في الأجهزة الأمنية المختلفة في تجارة المخدرات حيث يتم زراعة الأفيون في سهل البقاع اللبناني, ويتولى المسؤولون السوريون تسويقه لدى شبكات التجارة العالمية, ففي شهر مايو سنة 1985 قامت السلطات الإسبانية

بطـرد القنصـل العـام والمسـؤول الأمنـي فـي السـفارة السـورية بسـبب انكشاف دورهم في شحنة هيروين تم مصادرتها.

ونقلـت مجلـة الاكسـبرس الفرنسـية عـن إدارة مكافحـة المخـدرات الأمريكية DEA أن تجارة الأفيون وحدها قـد وفـرت للمسـؤولين السـوريين مكاسب تقدر بمليار دولار في عام 1986, ونتج عن ذلك تضاعف إنتاج هـذه المادة إلى خمسة أضعاف في المناطق الـتي تخضـع للقـوات السـورية فـي لبنان, وصارت الأربـاح الـتي تقـدر بمئـات الملايـين تقتسـم بيـن المزارعيـن والمنتجين والمسوّقين والقوات العسكرية السورية.

التحليل الاقتصادي لظاهرة الفساد:

تشير الدراسات الحديثة إلى وجود علاقة وطيـدة بيـن تـدهور الاقتصـاد في العديد من الدول النامية وانتشار الفساد المـالي والإداري, ويسـعى هـذا الفصل من الكتاب إلى تتبع مسـيرة انحـراف المؤسسـات الاقتصـادية الـتي أعيد توجيهها لتشكل عصب حياة السلطة الحاكمة.

ولعلّ بعض الأرقام عن الاقتصاد السوري تبين لنا الوضع المخيف الـذي وصـلت إليـه الأوضـاع فـي سـوريا, فمديونيـة الدولـة تبلـغ 27 مليـار دولار, واختفـاء بعـض المـواد التموينيـة بـات يشـكل ظـاهرة إضـافة إلـى تـردي الخدمات, وتبلغ نسبة البطالة 30%, ونسبة التضخم تزيد عـن 100% بينمـا تنشط عصابات تهريب البضائع من لبنان وتركيا وغيرهما.

ويمكن إرجاع الخلل في السياسة الاقتصادية إلى عاملين رئيسين:

الأول: الطرح الاشـتراكي العقيـم الـذي تبنـاه البعـث, وقلـب التركيبـة الاقتصادية للقطر السوري بأساليب ثورية دون تقديم بدائل واقعية.

الآخر: سياسة حافظ أسد فـي بنـاء سـلطة شـمولية تتحكـم بمقـدرات الأمة, وتنشأ بمعزل عن المجتمع لتتمكن من تغييره دون الخضـوع لأي تـأثير خارجي.

ومرّت المسـيرة الاقتصـادية المتعـثرة خلال حكـم البعـث والنصـيريين بثلاث مراحل رئيسة:

الأولى (1963-1970): وفيها تم تبني سياسات التأميم وضرب القطاع الخاص. كما تم فيهـا تقليـص ملكيـة الأراضـي الخاصـة مـن 800 إلـى 150 دونماً من الأراضي المروية, وبحلول سنة 1966 وضعت السلطة يدها علـى أغلب المنشآت الصناعية, وعملـت علـى اسـتبعاد رأس المـال الخـاص عـن الصناعة, وكان من شأن هذه السياسة أن أدّت إلى ضرب القطاع الزراعـي حيث هبطت المساحة المروية من 533 ألـف هكتـار سـنة 1965 إلـى 450 ألف هكتار سنة 1970.

الثانية (1971-1986): وهـي مرحلـة بنـاء سـلطة شـمولية ذات طـابع رأسمالي على انقاض السياسة الاشتراكية السـابقة, وبـدأت هـذه المرحلـة بانقلاب حافظ أسد في تشرين الأول من اكتوبر سنة 1970 وهو ما اصـطلح على تسميته "الحركة التصحيحية", وقامت فلسفتها على إنشاء سلطة قوية بعيدة عن الشعب حتى تتمكـن مـن تغييـره تـدريجياً مـن النمـط الإقطـاعي البرجوازي إلى النموذج الاشتراكي, وقام النظام بفتح صـفوف الدولـة علـى

مصراعيها أمام الفائض البشري المتدفق من الأريـاف وذلـك بتوسـع أجهـزة القمـع إلـى أوسـع مـدى ممكـن ممّـا نتـج عنـه تحـول جـذري فـي التركيبـة الاجتماعية للشعب السوري.

وتمكنت الدولة من امتصاص أكثر من 1.200.000 شخص بحلول سنة 1979 في كوادر الحزب ومؤسسات القمع وفرق الجيش, لتشـق المجتمـع بطبقة طفيلية جديدة تتحكم في سياسـات واقتصـاديات القطـر, وأدت هـذه السياسة إلى ضرب القطاع الزراعي حيث انخفضت أجور المزارعين بنسبة 19%, ممّا دفـع بالغالبيـة مـن أبنـاء الجبـل إلـى الالتحـاق بصـفوف الجيـش والمخابرات بحثاً عن المكانة والكسب السريع.

وفي المقابل انحطت مكانة المثقفين من الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات, وأصبحت رواتبهم في أسفل سلم الدخول.

والملمح الآخـر فـي هـذه المرحلـة هـو رأسـمالية السـلطة واشـتراكية المجتمـع, وكـانت الباحثـة الفرنسـية اليزابيـث لونغـونيس أول مـن لاحـظ الازدواجية فـي التطـبيق الاشـتراكي والرأسـمالي بيـن المجتمـع والسـلطة, حيث يتم تجيير القطاع العام لصالح القائمين عليه, ويتم تحويـل الانتـاج عـن مساره الصـحيح إلـى العملاء فـي القطـاع العـام الخـاص ليسـوقوه بأسـعار السوق الحرة, ونتج عن ذلك تدهور القطاع العام الحكومي, ونشوء اقتصـاد "شبه خاص" مرتبط بضباط الجيش وكبار المسؤولين.

الثالثـة (1987-2000): وقـد شـهدت نتائـج التخبـط الاقتصـادي الـذي انعكس بصورة جلية في انهيار قيمة الليرة السورية, وتوقف مشاريع التنمية وغير ذلك وقد انخفضت قيمة الليرة مـن 6 ل.س. إلـى 50 ل.س. للـدولار, وارتفعـت أسـعار المـواد الغذائيـة والأساسـية, واختفـت الكـثير مـن المـواد الضرورية والأدويـة, وصـارت السـلطة عـاجزة عـن تـوفير العملات الصـعبة للاسـتيراد, وفـي المقابـل كـانت عصـابات التهريـب تنشـط, ويـزداد فـرض الضرائب والأتاوات على المواطنين.

رموز الفساد:

يشـير المؤلـف هنـا إلـى المتسـبب فـي الفسـاد الـذي تعيشـه سـوريا ويخصص له فصلين هما الرابـع والخـامس حيـث الأول للحـديث عـن دور آل أسد والآخر عن دور الجيش والمخابرات.

أولاً: آل أسد

يجرّم القانون السوري نقد رئيس الجمهورية بأيـة صـورة, كمـا عملـت وسائل الإعلام على تأليه الرئيس وجعله فوق مستوى النقد والشبهات, وقـد ساعد هذا الوضع الرئيس في أن يحكم حكماً مطلقاً دون رقيب أو محاسبة, فهـو يهيمـن علـى الانفـاق العسـكري الـذي يسـتهلك 60% مـن الميزانيـة السنوية دون أن تخضع هذه النفقات لرقابة الحكومة, كما أن مبيعات حقـول النفط في دير الزور التي تدر أرباحـاً سـنوية بقيمـة 3 مليـارات تتبـع رئيـس الجمهوريـة ولا تـدخل ضـمن الميزانيـة السـنوية, اضـف لـذلك أن إيـرادات النظام السوري في عمليات بيع المخـدرات اللبنانيـة كـانت تزيـد عـن مليـار

دولار سنوياً حسب تقدير وكالة مكافحة المخدرات الأمريكية طوال فترة الثمانينات.

وصورة البذخ التي تمثلها قصور حافظ أسد وتماثيله وممتلكاته توضح صورة الفساد الذي يمثله رأس السلطة, فإن تكلفة قصره الذي تم إنجازه أواخر سنة 1990 تزيد عن 30 مليار ليرة.

ولئن ذكر الفساد في سوريا, يتبادر إلى الأذهان فوراً اسم "رفعت أسد" شقيق الرئيس الذي ارتبط اسمه بتجارة المخدرات والتهريب وفرض الأتاوات, والمشاريع الكبيرة خارج سوريا إضافة إلى سجله السيء وارتباطه بعدد من الجرائم المروعة في سوريا, وممارسة الاغتيالات للمعارضين خارجها خاصة في فرنسا وإسبانيا وألمانيا.

ويبرز من قائمة الفساد د.جميل علي سليمان أسد شقيق الرئيس وابنه فواز, ومن الجيل الجديد باسل حافظ أسد وفراس رفعت أسد ومحمد توفيق أسد, ومالك أسد, ومحمد إبراهيم أسد, وماهر حافظ أسد, ولكل من هؤلاء ألف قصة وقصة في استغلال ثروات البلاد وتسخيرها لمصالحهم, وممارسة الإرهاب والتهديد.

ثانياً: الجيش والمخابرات

سبق القول أن هذه الفئة شكلت سلطة مستقلة تمتع أعضاؤها, ومعظمهم من النصيريين بالامتيازات الكبيرة, وكان لهم الدور الكبير في رسم مسار الأحداث حتى صاروا "سلطة خفية", وكان الضباط الكبار المتنفذون يصطدمون بالحكومة وخاصة حكومة عبد الرؤوف الكسم (سني) 1980-1987, الأمر الذي جعل رئيس سوريا حافظ أسد ينحاز إلى أعضاء المؤسسة العسكرية التي يديرها النصيريون وينقلب على رئيس وزرائه ويتهمه بالفساد.

ويبرز من هذه القائمة رفعت أسد وحكمت الشهابي ومصطفى طلاس وفؤاد عيسى وعلي حيدر وعلي دوبا ومحمد نصيف ومحمد الخولي وشفيق فياض وعدنان مخلوف وإبراهيم الصافي وعلي حبيب وعلي أصلان وآصف شوكت وعدنان بدر حسن وحسن خليل وبهجت سليمان وعلي حوري وإبراهيم حويجة.

وباستثناء الشهابي وطلاس, فإن جميع الأسماء المذكورة ومن قادة الأجهزة الأمنية, هم من النصيريين الذين أصبحوا طبقة أرستقراطية بسبب ما يحصلون عليه من امتيازات وما يسخرونه من الإمكانات لخدمتهم.

وفي تفسير لنشوء البرجوازية الطائفية الجديدة برعاية حافظ أسد, يورد المؤلف قولاً لصاحب كتاب (الأسد) باتريك سيل يقول فيه: "في سبيل حكم سوريا وتحديثها يعتقد أنه يحاجة إلى طبقة قوية ومتمولة من بين رجاله أنفسهم لتحل محل البرجوازية السورية القديمة".

وثمة تفسيراً آخر يقول بأن السلطة الطائفية ستتعرض بكاملها للانهيار في حالة إقصاء رموز الفساد الذين يشكلون العصب الرئيس للنظام.

حملات النظام ضد الفساد:

وينتقل د. زين العابدين في الفصلين السادس والسابع إلى تسليط الضوء على الحملات الوهمية للنظام ضد الفساد وبيّن أنها حملات ظاهرية جاءت لذر الرماد في العيون ولتقوية وضع النظام وتحسين مواقعه, كما أنها استعملت كباش الفداء الذين كانوا على الدوام من العناصر غير العلوية.

الحركة التصحيحية:

وهي أول حملة في ظل حكم حافظ أسد, رفعت شعارات جميلة في الحرية وكرامة الإنسان والتعبير عن الرأي ومساهمة المواطن في الرقابة والنقد والبناء وفي حرية الصحافة إلا أن هذه الشعارات لم تترجم طيلة حكم البعث والأسد إلى واقع عملي, وأطلق أسد العنان لعصابات مخابراته الطائفية لتعتدي على أعراض المواطنين وأرواحهم وأموالهم وحرياتهم.

وانطلقت في سنة 1977, و سنة 1979-1980 و سنة 1987 و سنة 1999-2000 حملات لمحاربة الفساد كما زعموا تحت وطأة الأوضاع المتردية سياسياً واقتصادياً.

ويضع المؤلف أسباباً خمسة لهذه الحملات المزعومة:

1-محاولة امتصاص السخط الشعبي من تردي الأحوال عن طريق تخدير المواطنين بإجراءات سطحية.

2-وضع رئيس الجمهورية وضباط الطائفة فوق مستوى الأزمة, عن طريق إلقاء المسؤولية على رئيس الحكومة والوزراء ومديري شركات القطاع العام.

3-التمهيد لمواقف دولية جديدة تحتاج إلى دعم خارجي أو كلما اضطر النظام لطلب مساعدات خارجية كما في قمة بغداد سنة 1978 وعمّان سنة 1987.

4-استخدام هذه الحملات لتصفية المعارضين للترتيبات التي يقوم بها رئيس الجمهورية في تكريس هيمنة الجيش على الشؤون المحلية كما هو الحال في إقصاء حكومات الأيوبي والحلبي والكسم والزعبي.

5-ترسيخ سياسة الفساد نفسها عن طريق تأصيل وراثة الطائفة للحكم بشتى الوسائل التي تلمع أبناء الرئيس وأقاربه كرموز للنزاهة ولإبرازهم كمرشحين لا يستغني عنهم المجتمع.

البدايات الخاطئة في عهد بشار

يبدأ المؤلف بذكر قوله تعالى: (أفمن أسس بنيانه على تقوى الله ورضوان خير أمّن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم, والله لا يهدي القوم الظالمين) [التوبة: 109].

فكيف يعقل أن هذا الشاب محدود الإمكانيات وعديم التجربة يصبح بين عشية وضحاها رائداً للتحديث وقائداً للحركة التصحيحية الثانية, ومصلحاً يقود الجمهورية في مرحلة عصيبة من تاريخها الحديث.

إن اختيار بشار حافظ أسد رئيساً "للجمهورية الملكية" بعد وفاة والـده بعد التلاعب بالدستور وتعديل المادة 83 لتناسـب عمـر الرئيـس المرتقـب, دليل على تكريس النهج الطائفي وإبقاء الحكم فـي الأقليـة النصـيرية, وبمـا يضمن استمرار مراكز القوى في مراكزهم.

بقي أن نشير إلى أن الكتاب يقع في 160 صفحة, واعتمد المعلومـات الموثقة من مصادرها, وقد وضعنا هذه المعلومات دون ذكر مصادرها حرصاً علـى الاختصـار, وقـد صـدر الكتـاب سـنة 2001 عـن مراكـز الدراسـات الإسلامية في مدينة بيرمنجهام في بريطانيا, ومؤلفه هو الدكتور بشـير زيـن العابدين.

قائمة (1): أهـم النصـيريين الـذين تولـوا مناصـب بـارزة فـي المرحلـة الأولى من الدولة العلوية في سورية 1963-1970:

م	الاسم	المنصب
1	صلاح جديد	رئيس الأركان ثم الأمين العام المساعد لحزب البعث.
2	إبراهيم ماخوس	وزير الخارجية.
3	محمد عمران	آمر الفرقة 70 المدرعة ثم وزير الدفاع.
4	عثمان كنعان	عضو القيادة العليا للجنة العسكرية لحزب البعث.
5	سليمان حداد	عضو القيادة العليا للجنة العسكرية لحزب البعث.
6	علي مصطفى	قائد كتيبة في اللواء 70 المدرع.
7	كاسر محمود	قائد كتيبة في اللواء 70 المدرع.
8	عزت جديد	قائد كتيبة في اللواء 70 المدرع.

9	محمد إبراهيم العلي	قائد الحرس الوطني.
10	محمد نبهان	أحد الضباط المشاركين في انقلاب 1963.
11	عادل ناعيسة	أمين عام فرع اللاذقية.

قائمة (2): أبرز النصيريين في المرحلة الثانية من الدولة العلوية, الذين تولوا مناصب داخل المؤسسة العسكرية وأجهزة الاستخبارات والحكومة السورية وحزب البعث, في الفترة 1971-2000:

م	الاسم	المنصب
1	حافظ أسد	رئيس الجمهورية/ القائد الأعلى للقوات المسلحة/ الأمين العام لحزب البعث (سابقاً).
2	رفعت أسد	قائد سرايا الدفاع حتى عام 1984/نائب الرئيس لشؤون الأمن الوطني حتى عام 1998.
3	جميل أسد	عضو مجلس الشعب عام 1973 / عضو المؤتمر القومي الثاني لمنظمة الحزب الحاكم 1975/ رئيس جمعية المرتضى (حلت عام 1984).
4	الرائد باسل حافظ أسد	رئيس أمن الرئاسة/ قائد لواء مدرع في الحرس الجمهوري.
5	اللواء محمد توفيق الجهني	قائد الفرقة الأولى عام 1975.

6	اللواء إبراهيم صافي	قائد الفرقة الأولى/ قائد القوات المسلحة السورية في لبنان منذ 1994.
7	اللواء شفيق فياض	قائد الفرقة الثالثة/ عضو اللجنة المركزية لحزب البعث.
8	اللواء علي ملاحفجي	قائد القوى الجوية والدفاع الجوي (أحيل للتقاعد عام 1994).
9	اللواء محمد الخولي	نائب قائد القوى الجوية ورئيس مخابرات القوى الجوية (أحيل للتقاعد).
10	اللواء علي الصالح	قائد قوات الدفاع الجوي.
11	اللواء محمد عيد	القائد العسكري للمنطقة الشمالية.
12	اللواء اسكندر سلامة	قائد سلاح الهندسة.
13	اللواء علي حيدر	قائد القوات الخاصة (أحيل للتقاعد).
14	اللواء علي دوبا	رئيس شعبة المخابرات العسكرية (أحيل للتقاعد).
15	اللواء حكمت إبراهيم	مدير إدارة شؤون الضباط.
16	اللواء علي حماد	رئيس شؤون الضباط.
17	العميد عبد الحمد رزوق	قائد فيلق الصواريخ (قتل عام 1977).
18	العقيد فؤاد اسماعيل	قائد اللواء (21) الميكانيكي.
19	العقيد نديم عباس	قائد اللواء (47) المدرع.
20	الرائد علي حيدر	قائد حامية حماة (قتل عام 1976).

21	اللواء فؤاد عبسي	رئيس المخابرات المدنية (توفي فيما بعد).
22	اللواء محمد نصيف	رئيس الأمن الداخلي (استقال عام 1999).
23	العقيد يحيى زيدان	رئيس المخابرات العسكرية.
24	المقدم أحمد خليل	مدير الشرطة بوزارة الداخلية (قتل عام 1978).
25	اللواء معن نصيف	نائب مدير المخابرات العامة.
26	اللواء غازي كنعان	رئيس الاستخبارات العسكرية السورية بلبنان.
27	أحمد اسكندر أحمد	وزير الإعلام في حكومة الكسم (توفي فيما بعد).
28	محمد حيدر	نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية في حكومة الكسم.
29	محمد سلمان	وزير الإعلام في حكومة الزعبي.
30	علي حسن	عضو المؤتمر القطري السابع عام 1980.
31	عبد الغني إبراهيم	عضو المؤتمر القطري السابع عام 1980.

قائمة (3): التركيبة الجديدة للسلطة النصيرية في المرحلة الثالثة مـن الدولة العلوية في الحكومة والحزب الجيش, 2000-

م	الاسم	المنصب
1	**الفريـــــق بشـــار حـــافظ أسد**	رئيس الجمهورية/ القائد الأعلى للقوات المسلحة/ الأمين العام لحزب البعث.
2	العماد على أصلان	رئيس هيئة الأركان/ عضو اللجنة المركزية لحزب البعث.

3	العماد علي حبيب	قائد القوات الخاصة منذ عام 1994/ عضو اللجنة المركزية للحزب.
4	اللواء آصف شوكت	مسؤول في الاستخبارات العسكرية.
5	اللواء عدنان مخلوف	قائد الحرس الجمهوري.
6	اللواء بهجت سليمان	رئيس قسم الأمن الداخلي في إدارة الأمن العام.
7	اللواء عدنان إبراهيم أسد	قائد سرايا الصراع.
8	اللواء حسن خليل	رئيس الاستخبارات العسكرية/ عضو اللجنة المركزية للحزب.
9	اللواء عدنان بدر حسن	رئيس شعبة الأمن السياسي/عضو اللجنة المركزية للحزب.
10	اللواء إبراهيم حويجة	رئيس المخابرات الجوية/ عضو اللجنة المركزية للحزب.
11	الرائد ماهر حافظ أسد	قائد فرقة في الحرس الجمهوري/عضو اللجنة المركزية لحزب البعث.
12	عدنان عمران	وزير الإعلام في حكومة ميرو/عضو اللجنة المركزية لحزب البعث.
13	ماجد شدود	عضو القيادة القطرية لحزب البعث.
14	رفيق حداد	عضو اللجنة المركزية للحزب.
15	عز الدين ناصر	عضو اللجنة المركزية للحزب.

أبرز مراكز القوى في النظام السوري قبل مارس 1984:

م	التشكيلة العسكرية	م	المخابرات
1	**الجيش النظامي:** يتولى اللواء حكمت الشهابي (سني) رئاسة الأركان وينوب عنه علي أصلان (علوي) الذي يتولى كذلك منصب	1	**المخابرات العسكرية:** يترأسها اللواء علي دوبا (علوي), وهي تابعة لقيادة حكمت الشهابي عسكرياً ولكنها تعمل سياسياً لصالح

	مـــدير العمليـــات. يشـــكل العلويـــون نسـبة تزيـد عـــن 90% مـن الضـباط, وتلعـب هذه المؤسسة الضـخمة دور الموازنـــة بيـــن الميليشـيات الطائفية.		علي دوبا, وتعتبر أكثر أجهـزة الاسـتخبارات نفـوذاً, حيـث تعمـــل علـــى تـــأمين ولاء المؤسسة العسكرية للنظام. ويهيمـن العلويـون علـى هـذا الجهاز بشتى فروعه.
2	**الوحدات الخاصة:** يرأسـها اللـواء علـي حيـدر (علـوي) الذي يتمتع بشعبية كبيرة فـي صـفوف الضـباط العلـويين, وتتكـون قـواته مـن 15 ألـف مـن المغـاوير, تشـكل نخبـة العناصـر العسـكرية تـدريباً وعـــدة, وتتغلـــب المســـحة العلويـة علـى هـذه القـوات الـتي شـاركت فـي مجـازر حلب وحماة, كما كان لها دور بـارز فـي لبنـان عـام 1982. وقـد اسـتعان حـافظ أسـد بالوحـدات الخاصـة لضـرب قـوات رفعـت فـي محـاولته الانقلابية عام 1984.	2	**مخـابرات أمـن الدولـة:** ترأسـها اللـواء فـؤاد عبسـي (علوي) في فترة الثمانينـات. وكانت تتبع لرفعت أسد قبـل عام 1984 ومن ثـم أصـبحت تبعيتهـــا مباشـــرة لرئيـــس الجمهوريـــة. ويعتـــبر رئيـــس فـرع الأمـن الـداخلي اللـواء محمد نصيف (علوي) الرجـل الأقوى في هذا الجهـاز الـذي يهيمـن علـى قـوى الشـرطة والأمن العـام. وتفـرض إدارة أمـن الدولـة سـيطرتها علـى جميـــع المـــدن الكـــبرى, ومخابراتها ناشـطة جـداً فـي صفوف المدنيين.
3	**ســرايا الــدفاع:** ترأســها رفعـت أسـد (علـوي) قبـل تعيينـــه نائبـــاً لرئيـــس الجمهوريـــة, ويتـــألف هـــذا الجهـاز مـن وحـدات تـدعى سرايا, وهي مجهـزة تجهيـزاً ممتـازاً بالآليـات والصـواريخ وأحـدث المعـدات المضـادة للدبابات. وقد وصل عدد هذه الوحدات إلى 55 ألف جنـدي نسـبة العلـويين فيهـم 95%. وتتوزع وحدات سرايا الـدفاع علـى المـدن الكـبرى وتتمتـع باسـتقلالية كاملـة عـن سـائر القوى العسكرية.	3	**مخابرات القوى الجويـة:** يتولي اللـواء محمـد الخـولي (علـوي) قيـادة هـذا الجهـاز الـذي يتبـع مباشـرة لرئيـس الجمهوريـة, وقـد كـان جـزءاً مـــن جهـــاز الأمـــن القـــومي المختـص بالمخـابرات خـارج البلاد ولكن الجهـازين انفصـلا عن بعضهما فيما بعد. ويعتـبر الخـولي مـن أكـثر المقربيـن للرئيـس الســوري الســابق حافظ أسد.
4	**الحـــرس الجمهـــوري:** يرأسه اللواء عدنان مخلـوف (علـــوي) ابـــن عـــم زوجـــة	4	**مخابرات سـرايا الـدفاع:** تتبـع لرفعـت أسـد مباشـرة ويتولى رئاستها العقيد سـليم

	الرئيس أنيسة مخلوف, الذي كان يعمل تحت إمرة رفعت في سرايا الدفاع وتركه بعد شجار نشب بينهما ليتولى قيادة هذه القوات التي لم يكن يتجاوز تعدادها خمسة آلاف جندي يتولون حراسة القصر الجمهوري في حي المالكي السكني, وفي مركز مدينة دمشق.		بركات (علوي). ويتمتع هذا الجهاز باستقلاليته الكاملة عن أي سلطة أخرى, ويقوم برصد تحركات العناصر المناوئة في كل القطاعات, ويتميز بتجهيزاته المتطورة وقدراته على التحرك السريع. وقد تم اعتقال سليم بركات في فبراير عام 1984 وسرح جميع العاملين في مخابرات سرايا الدفاع.

أبرز مراكز القوى في النظام السوري عام 2000

م	التشكيلة العسكرية	م	المخابرات
1	**الجيش النظامي:** يتولى العماد علي أصلان (علوي) ابن عمة حافظ أسد رئاسة الأركان بعد إحالة حكمت الشهابي إلى التقاعد عام 1998, وتتميز المرحلة 1987-2000 بدعم دور الجيش النظامي للقيام بدور أكبر في السياسة الداخلية لضمان انسيابية عملية الخلافة, حيث برز عدد من الضباط العلويين مثل العماد شفيق فياض, والعماد إبراهيم الصافي قائد القوات المسلحة السورية في لبنان ومحمد إبراهيم العلي قائد الجيش الشعبي كأبرز رموز تركيبة الحكم الجديدة, وجميعهم أعضاء اللجنة المركزية للحزب عام 2000.		**الأمن السياسي:** يرأسه حالياً اللواء عدنان بدر الحسن (علوي) الذي كان قائداً للفرقة المدرعة التاسعة قبل عام 1984, وقد أثار تعيينه في هذا المنصب عدداً من ضباط الجيش. وكان أسد قد نقله من الجيش النظامي لهذا المنصب الأمني الهام لموازنة الهيمنة العسكرية التي كان يمارسها اللواء علي دوبا من خلال رئاسته لجهاز الاستخبارات العسكرية. وقد لعب جهاز الأمن السياسي برئاسة اللواء الحسن دوراً كبيراً في ضمان ولاء المؤسسة العسكرية لبشار, ويعتبر أحد أبرز أعضاء اللجنة المركزية لحزب البعث عام 2000.
2	**الحرس الجمهوري:** يترأس اللواء عدنان مخلوف (علوي) هذه الفرقة التي		**المخابرات العسكرية:** يرأس هذا الجهاز اللواء حسن خليل (علوي) الذي

	تضخم حجمها بعد عام 1987 حيث بلغ عدد قواتها 30 ألف جندي. وكان لهذه القوات دور بارز في تحديد قوة الوحدات الخاصة في الفترة 1987-1994. جدير بالذكر أن قيادة الحرس الجمهوري هي التي تتولى إدارة مجموعة مكاتب بشار أسد, وكان من بين ضباطها باسل وماهر أسد ومناف مصطفى طلاس. ويعول النظام كثيراً على هذه القوة العسكرية لضمان استقرار الحكم لأنصار بشار.		خلف علي دوبا (علوي) بعد أن أبدى الأخير معارضته لخلافة بشار عام 1994. وقد تم تجديد عضوية اللواء خليل في اللجنة المركزية للحزب عام 2000 اعترافاً بدوره في تأمين نقل السلطة بعد وفاة حافظ أسد. ولا يزال جهاز الاستخبارات العسكرية من أقوى الأجهزة الأمنية التي تتولى تأمين ولاء المؤسسة العسكرية الضخمة للنظام. ويتولى آصف شوكت (علوي) زوج بشرى حافظ أسد منصباً مهماً في هذا الجهاز.
3	**القوات الخاصة:** يرأسها العماد علي حبيب (علوي) قائد القوات السورية في حرب الخليج, وقائد أركانه اللواء تركي غورلي (علوي) وتقع قيادتهم الرئيسية في القابون. يبلغ تعداد القوات الخاصة 30 ألف جندي, أغلبهم من العلويين وتشكل هذه الوحدات القوة الضاربة في لبنان حيث تقع قيادتها في البقاع الغربي بعنجر, وتعد إحدى ركائز الحكم التي يحسب لها حساب في حماية النظام, وقد تم تغيير اسمها من الوحدات الخاصة إلى القوات الخاصة بعد عزل اللواء علي حيدر عام 1994.		**المخابرات العامة:** برئاسة اللواء علي حوري (علوي) وقد كان لهذا لجهاز دور رئيس في تحريك العناصر الموالية للنظام في شتى المدن السورية في مسيرات تأييد خلافة بشار أسد. ويعتبر الشخص الأكثر تأثيراً هو اللواء بهجت سليمان (علوي) رئيس قسم الأمن الداخلي في المخابرات العامة, وهو من أبرز الموالين للحكم الجديد حيث كان يصرح بضرورة خلافة بشار منذ عام 1994, كما لعب دوراً بارزاً في لبنان عام 1982, وكان أحد ضباط سرايا الدفاع الذين رفضوا الانصياع لأوامر رفعت في محاولته الانقلابية عام 1984.

قالوا

حتى صلاح الدين لم يسلم من الشيعة.

قالوا: ((اكتشفت أن صلاح الدين محرر القدس ليس إلا سفاحاً, حول مصر كلها إلى سجون ومعتقلات تحت الأرض لضرب الشيعة وتحويل المصريين عن المذهب الشيعي. وأسعى للبحث عن رفات الشيعة الذين قتلهم صلاح الدين أو أي أثر لهم)).

المصري المتشيع صالح فرغلي

موقع "المعصومون الأربعة عشر"

7/5/2002

قلنا: ليس مستغرباً أن يوجه الشيعة سهامهم إلى القائد صلاح الدين الذي حرّر القدس وساهم في إحياء فريضة الجهاد, ذلك أن صلاح الدين هو الذي قضى على الدولة العبيدية الفاطمية الدخيلة على مصر, وأعاد مصر كما كانت إلى مذهب أهل السنة والجماعة, فالشيعة ما زالوا يحلمون بأيام العبيديين الذين كانوا من الشيعة الإسماعيلية.

ليس غريباً أن يبغض الشيعة القائد صلاح الدين, لكن الغريب أن يدّعي فرغلي هذا أن صلاح الدين حوّل مصر كلّها إلى سجون ومعتقلات تحت الأرض لضرب الشيعة وتحويل المصريين عن المذهب الشيعي, فهذه السجون ليست موجودة إلا في خيالات الشيعة.

صور خميني وخامنئي في البحرين

قالوا: ((أشعل محتجون في البحرين النار في أعلام أميركية وإسرائيلية أثناء مظاهرة مناهضة لإسرائيل شارك فيها حوالي عشرة آلاف شخص.

وحمل المتظاهرون وأغلبهم من الشيعة صوراً ضخمة للزعيم الإيراني الراحل آية الله روح الله الخميني وخلفه آية الله علي خامنئي)).

وكالات الأنباء 22/11/2003

قلنا: ما الذي يدفع مواطنين بحرينيين إلى رفع صور رؤساء دولة أخرى؟ هل توكيد فكرة أن إيران هي مرجع الشيعة ودولتهم الأم التي لا بد من التوجه نحوها بالحب والوفاء والولاء؟

لقد رأينا اليهود في شتى أقطار الأرض يعتبرون الكيان الصهيوني دولة اليهود في جميع أنحاء العالم, ويهرعون لدعمها ماديّاً وبشريّاً ويذودون عنها. فهل الشيعة على نفس الدرب سائرون؟؟

2.5 مليون مدمن في إيران

قالوا: ((وبحسب أرقام رسمية يقدر عدد المدمنين على المخدرات حالياً في إيران بنحو 2.5 مليون بينهم 20 ألفاً بواسطة الحقن)).

وكالة الصحافة الفرنسية

10/12/2003

قلنا: إن رقماً كهذا لا يبعث على الاطمئنان, وينذر بكارثة حقيقية في هذا البلد, الذي تبذل قيادته الجهود الكبيرة من أجل الترويج لمذهبهم الشيعي, بينما لا نجد جهداً مماثلاً لحماية الأخلاق والقضاء على الظواهر السلبية.

حكومة مقتدى البديلة

قالوا: ((الموقف الأمريكي من نقل السلطة إيجابي, والتوجه الأمريكي الجديد هو ثمرة إعلاني تشكيل حكومة بديلة)).

مقتدى الصدر

الدستور 15/11/2003

قلنا: لقد سئم الجميع كثرة المشاريع التي يطرحها مقتدى, والتي تصل في كثير من الأحيان إلى التناقض, فتارة يشكل جيش المهدي, ويهدد به الأميركيين, ثم يعلن أنه جيش بدون سلاح, وتارة أخرى يهاجم الأميركان ويتوعدهم بحكومته الموهومة التي لا وجود لها على أرض الواقع, ثم يتودد إليهم ويقول أن الشر كله هو من صدام حسين.

أموال العتبات سبب النزاع

قالوا: ((موارد العتبات المقدسة في كربلاء هائلة, ويتحتم علينا شرعاً أن نستخدمها لشؤون العتبة, وهناك أفكار ودراسات لتطوير العتبات والأبنية التابعة لها)).

أحمد الصافي عضو اللجنة العليا لإدارة العتبات في كربلاء

النور العدد 151 ديسمبر 2003

قلنا: لعل هذه الموارد الهائلة هي السبب التي جعل مقتدى الصدر وأنصاره يقتحمون ضريحي الحسين والعباسي في كربلاء بغية السيطرة عليهما, فالأموال الكثيرة التي تقدم للضريحين ويستولي عليها القائمون عليهما تغري مقتدى وأنصاره بعمل أي شيء حتى لو كان الطريق لذلك الاصطدام بالمرجعية ورجال الحوزة.

السلطة من أجل حفظ كيان الشيعة

قالوا: ((حفظ كيان الشيعة لا يتم إلا من خلال الوصول إلى السلطة)).

المرجع الشيعي محمد بحر العلوم

النور – العدد 151 ديسمبر 2003

قلنا: كان بحر العلوم يتحدث فـي عـام 2001 خلال اجتماعـات هـدفت إلى تأسيس مجلس أعلى لشيعة العراق, وقضـية السـيطرة علـى السـلطة عند الشيعة قضية جوهرية ذلك أنهم يعلمون أن السلطة والسيطرة والقمـح هي أسرع الطرق لنشر مذهبهم, فالمذهب الشيعي لم ينتشر فـي إيـران إلا بسياسة البطش الـتي مارسـها الصـفويون عنـدما حكمـوا إيـران فـي بدايـة القـرن السـادس عشـر الميلادي, أمـا إن تـرك المـذهب لقناعـات النـاس وتفكيرهم, فإن أصحاب العقول السليمة لن يختاروا التشـيع والرفـض علـى حس اب المنهـج الإس لامي الصـافي المسـتمد م ن الكتـاب الحكيـم والسـنة الصحيحة.

الراصد

جولة الصحافة

مقتدى الصدر يعلن تأسيس جمهورية زفتي على الطريقة الصدّامية!

د. أحمد راسم النفيس

القاهرة 4/11/2003

أحمد راسم النفيس كاتب مصري متشيع, وهو أحد الذين يرفعون لـواء الشيعة في مصر الآن, وصاحب مقال أسـبوعي فـي صـحيفة القـاهرة الـتي تصدرها وزارة الثقافة المصرية, وفي هذا المقال يتحدث عن حكومـة الظـل التي أعلن مقتدى الصدر رغبتـه فـي تشـكيلها فـي العـراق بمـوازاة مجلـس الحكم الانتقالي.

وفي هذا المقال يستهزي النفيس بحكومة الظل هذه ومغامرات أخرى لمقتدى مثل تشكيله لجيش المهدي, ويهاجمه لمحاولته الاستيلاء على بعض الأماكن التي يقدسها الشيعة والسعي للاستيلاء على الهبات والنذور لتمويـل حكومته, ومحاولته تهميش التيارات الأخرى.

ومع اعتراف النفيس بما تتسبب به تصرفات مقتدى مـن التـوتر والأذى إلا أنه سرعان ما يتهم الأمريكان بذلك في محاولة إبعاد الشيعة وتيار مقتدى عن هذه التهمة.

لقد قال المتشيع النفيـس جـزءاً مـن الحقيقـة بكشـفه عـن جـزء ممـا يمارسه مقتدى تجاه أبناء طائفته, لكن الذي يحجم عنه النفيس وأمثـاله هـو بيان ما يقترفه مقتدى وأنصاره تجاه المسلمين مـن السـنة, حيـث قـام فـي وقت سابق بالاستيلاء على دائرة الأوقـاف السـنيّة فـي البصـرة, والاسـتيلاء على عدد من مساجد السنة وادّعى أنها كانت بالأصل مسـاجد شـيعية وقـام نظام صدام بتحويلها إلى مساجد سنيّة.

وهذا هو جزء من الصراع الشيعي الشـيعي, ولـذلك هـو لا يكشـف عـن الحقيقـة كاملـة بـل يوضـح أيـن يختلـف الفريقيـن, فريـق الصـدر وفريـق السيستاني. .....المحرر.

مقتدى الصدر حكومة في فنجان! فجأة أعلن عن تشكيل حكومة دون تشاور بين أطياف الشـأن العراقـي, ومـن بـاب أولـى دول الجوار, ومن دون تشاور مع قوى الاحتلال الأمريكي... لذا فهـي تشكل بحق رمـزاً للاسـتقلال والتحـرر الـوطني لـم يسـبقه مـن الناحية التاريخية إلا جمهوريـة زفـتى الـتي أسسـها الزفتـاويون إبان ثورة 1919!!!

قبل هذا أعلن هذا السيد عن تأسيس ما أسماه (جيش المهـدي) لطـرد الاحتلال الأمريكي وأمسكنا عن التعليق لأننا نؤيد طرد الاحتلال الأمريكي أمـا أن يكون جيش السيد مقتدى هو جيش المهدي المنتظر فهـو مـا يحتـاج إلـى أدلة وبراهين لا نعتقد بتوافرها لديه أو لدى غيره.

المهم هو أن التيار الصدري الذي التف حول آية اللـه "الشـهيد" السـيد محمد صادق الصدر والد مقتدى والذي أعلن نفسه حوزة ناطقة فـي مقابـل اتهامه للآخرين بأنه الحوزة الصامتة هو تيار موجـود علـى السـاحة العراقيـة وله وجود بالغ الأهمية إلا أن القبول بكل ادعاءاته عن صمت الآخريـن وعـدم اهتمامهم بقضايا المسلمين واكتنازهم لأموال المسلمين وتبديدها هنا وهناك هي من الأمور التي لا يمكن التسليم بها من دون قيـد ولا شـرط خاصـة وأن مرجعية آية الله السيستاني المرجع الأعلى للشيعة في العـالم المتهمـة مـن قبل هؤلاء بالصمت والتقـاعس تختلـف فـي أجهزتهـا وأدواتهـا عـن مرجعيـة سلفه السيد أبو القاسم الخوئي ولا يمكن تحميلها المسئولية عما حدث فـي المرحلة السـابقة ناهيـك عمـا ارتكبـه صـدام حسـين فـي حـق الجميـع مـن الصامتين والناطقين أو حتى الحالمين ناهيك عن الدور الـذي تقـوم بـه هـذه المرجعية في الوقت الراهن من إمداد للشعب العراقي بما يحتاجه من غذاء وكساء وكتاب والتعاون مع الخيرين من أهل العراق.

ورداً على الاتهام المـوجه لآيـة اللـه السيسـتاني بلزومـه الصـمت إزاء التطورات المتلاحقة في الساحة العراقيـة أجـاب وكيلـه قـائلاً: (إن سـماحة السيد وعلى الرغم من اهتمامه البالغ ومتابعته المستمرة للشأن العراقي إلا أنه قد دأب على عدم التدخل في تفاصيل العمل السياسـي وفسـح المجـال لمن ينيبهم الشعب العراقي من السياسيين لممارسة هذه المهمـة ويكتفـي سماحته بإبداء النصح والإرشاد لمن يـزوره ويلتقـي بـه مـن أعضـاء مجلـس الحكم والوزراء وزعماء الأحزاب وغيرهم).

الراصد

مقتدى الصدر يعلن عن تغيير عاصمة العراق!!

كان من الطبيعي بعد أن أعلن مقتدى الصدر عن تأسيس جمهوريته أنه يقرر جعل النجف عاصمة للعراق "بعد موافقة الشعب"!! على قراراته التاريخية تيمناً بالطريقة الصدامية وأن يسعى لوضع يده (الشريفة) على كل الأماكن الشيعية المقدسة باعتباره (ولي أمر المسلمين؟؟) ولا أدري من أين أتته الجرأة على اتخاذ كل هذه القرارات والعمل على تنفيذها ثم تقدم خطوة أخرى لوضع اليد على حرم أبي عبد الله الحسين فكانت تلك المواجهات المسلحة بين أنصاره ومن وصفتهم وسائل الإعلام بأتباع المرجع الأعلى آية الله السيد علي السيستاني الذي قالت "القبس" الكويتية أنه كان قد رفض استقبال الصدر في النجف.

أسفرت الاشتباكات عن طرد مجموعات الصدر من الأماكن التي احتلتها وأهمها المجلس البلدي وصحن الإمام الحسين, فيما ذكرت "القبس" أن قوات التحالف ستصدر مذكرة توقيف بحق السيد الصدر بتهمة اغتيال السيد عبد المجيد الخوئي.

وندد مجلس الحكم بمواجهات كربلاء وأكد أن للمحافظ والشرطة حق استخدام سلطة القانون "فلا قوة فوق القانون في عراقنا الجديد".

واتهم السكان مقتدى الصدر بأنه حرض رجاله للسيطرة على الضريحين من أجل الاستيلاء على الهبات الضخمة التي تجمع في هذين المقامين لتمويل ميليشيا جيش المهدي الذي أعلن ولادته وتمويل حكومة الظل التي أعلن عنها الأسبوع الماضي.

وقال سائق شاحنة من كربلاء أن رجال مقتدى الصدر كانوا يريدون السيطرة على الهبات والنذور الضخمة لتمويل إنشاء جيش المهدي وإقامة حكومته.

وشاركه عراقي آخر الرأي نفسه قائلاً بحدة أكثر إن رعاع مقتدى يريدون السيطرة على هبات المؤمنين للتسلح.

أما السيد مقتدى الصدر فقد أصدر بياناً نفى فيه الاتهامات الموجهة إليه وإلى ميليشياته بشن تلك الهجمات واصفاً الأمر كله بأنه (حصار وهجوم متعمد على مكتب السيد "الشهيد" محمد صادق الصدر في كربلاء بمساعدة قوات الاحتلال الأمريكي مما اقتضى الرد دفاعاً عن النفس) بينما دعا آية الله السيستاني في بيانه عن الأحداث (الأقلية لاحترام رأي الأكثرية) كما دعا (الأكثرية لعدم فرض رأيها على الأقلية بالقوة) كما عزى هذه الأحداث (لوجود العديد من الأسلحة في يد بعض العناصر غير المنضبطة) كما دعا أعضاء مجلس الحكم العراقي والوزراء (لسحب تلك الأسلحة غير المرخصة وتعزيز قوى الأمن العراقية ودعمها بالعناصر الكفؤة والمعدات اللازمة وأنحى باللائمة على قوى الاحتلال التي تحول بين العراقيين والقيام بتلك المهمات مما أدى إلى وصول الأحوال إلى تلك النقطة المؤسفة), كما أكد سماحته على أنه ليس طرفاً في صراع مسلح أو غير مسلح مع أي جهة كانت وأنه قد اتخذ من الإجراءات وكلف الوسطاء لنزع فتيل تلك الفتنة.

الراصد

من ناحية أخرى فقد أعلن السيد عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (ألا أحد يريد أن تقع أمثال هذه الحوادث كما انه لا يوجد أي قرار بالقتال أو استعمال السلاح كما أكد في عبارة ذات مغزى (لن تستطيع أية جهة زرع الفتن بين أبناء الشعب العراقي مهما كانت).

ورفض أسلوب المواجهة بين أبناء الشعب العراقي مشيراً إلى أن مجلس الحكم في العراق يسعى من خلال العمل السياسي والدبلوماسي! ومن خلال الحوار إلى تثبيت الأمن داخل العراق دون تدخل أية جهة أخرى).

إذا فربما كانت هناك بعض الجهات التي تسعى لاستثمار المناخ الفوضوي السائد في العراق والذي تسعى الولايات المتحدة لإبقائه هكذا من خلال الحيلولة بين القوى العراقية الفاعلة والقادرة على بسط الأمن وتحقيق الاستقرار والقيام بهذه المهمة الحيوية والتي ربما كانت سبباً في التعجيل بإنهاء الوجود الأمريكي في العراق وسحب ذرائعه التي يقدمها من أجل الاستمرار والبقاء وربما كان تصرفات هذا السيد واحدة من تلك الأسباب والذرائع من خلال تصريحاته الكثيرة غير المدروسة والتي يحاول من خلالها تجاوز كل القوى السياسية الفاعلة والحية صاحبة الخبرة والتجربة الطويلة في العمل السياسي داخل وخارج العراق واختزالها في إطار ما أسماه بتيار الحوزة الناطقة.

إلى أين يذهب المشروع السياسي لمقتدى الصدر؟

تبدو الساحة العراقية عشية إسقاط طاغية العراق أكثر تعقيداً مما يتخيل الجميع فقد أدت الضغوطات النفسية والاقتصادية الهائلة فضلاً عن حرب الإبادة التي تعرض لها الشعب العراقي لظهور أنماط من السلوك الفكري والسياسي التي نبتت في معزل عن التفاعل الخلاق مع العالم المحيط بها ومن بين تلك الأنماط تلك الطريقة التي يتصرف بها مقتدى الصدر.

فالعراقيون على اختلاف مللهم ومذاهبهم وأعراقهم قد أدركوا أن زمن التفردية الاستئصالية العرقية والسياسية والمذهبية قد ولى إلى غير رجعة ولا بديل عن القبول بالتعددية والمشاركة على أسس واعية يمكن لها أن تستفيد من ثروة العراق النفطية والبشرية الهائلة لصالح ذلك الشعب الذي جرى التمثيل بجثته حياً طيلة هذه العقود وتحول إلى فريسة يتناهبها المجرمون من كل حدب وصوب لأن هذا وحده هو الكفيل بتعجيل ظهور المهدي الذي ينتظره كل المسلمين على عكس ما يفعله السيد مقتدى من تسيير المظاهرات وتشكيل جمهورية زفتى الصدراوية ومحاولة وضع اليد على مقام الإمام الحسين إن لم يكن (بالذوق فبالقوة) وهو ما لم يقبل به أبناء كربلاء سواء من المنتمين إلى حزب الدعوة أو المجلس الأعلى ممن وصفتهم وسائل الإعلام بأنهم (أتباع السيد السيستاني) والمعروف أن الرجل ليست لديه لا ميليشيا ولا ميليشيات وأن أتباع هؤلاء له هو في إطار التقليد الفقهي وليس التنظيمي.

وأخيراً... فنحن نعتقد أن مصير تيار الصدر وقائده ذلـك السـيد مقتـدى مرهون بقبوله لقواعد اللعبة التعددية السياسية بعيداً عن مفردات القداسـة والتبجيل التي يطلقها على نفسه فالعراق ليـس إيـران والعـام 2003 ليـس العام 1979 ومقتدى الصدر لم ولا يمكن له أن يكون خميني العراق.

الراصد

مستقبل العراق والإقليم

شاكر الجوهري[1]

مقدمة:

يضعنا كاتب المقال شاكر الجوهري أمام بعض الأسباب التي تمنع الشيعة من مقاومة الاحتلال الأمريكي في العراق, مع ملاحظة أن هذه الأسباب المشار إليها مثل الخشية من عودة نظام صدام أو أن مقاومة الشيعة للأمريكان ستؤدي إلى حرمانهم من الامتيازات التي منحها الشيعة لهم بعد إسقاط صدام, لا تعكس الصورة الكاملة, فإن رفض مقاومة الشيعة للأمريكان ينطلق من موقف عقائدي شيعي يعتبر أن أهل السنة أشد كفراً وخطراً من اليهود والنصارى, وأن راية الجهاد لا يجوز أن تقوم قبل قيام المهدي المنتظر عندهم.

وليت الأمر اقتصر على عدم المقاومة, بل إن علاقات الشيعة بالأمريكان تشهد تحالفاً حقيقياً, موجهاً في جزئه الأكبر ضد أهل السنة في العراق, فالسنة في نظر الشيعة هم العدو الأول والخطر الأكبر, وفي نظر الأمريكان هم الذين يقودون أعمال المقاومة ضدهم, وهي التي تعتبرها الولايات المتحدة تخريباً وتمرداً مسلحاً.

وفي المقال الذي ننقله إليكم بتصرف يضعنا المؤلف أمام حقيقة أن رفض الشيعة لأي حكم غير شيعي هو الذي سبب الانقسام في العراق, وقد تم تكرار هذا المبدأ في دول الخليج, حيث كان الشيعة بدعم من إيران يقاتلون حكومات وشعوبات بلدانهم, ويرفضون أن يحكمهم سني.....الراصد.

إن بعض حلقات النظام العربي أصبحت تعبر عن قناعة صحيحة, بقدر ما هي مستغربة, تقول بأن خروج القوات الأميركية من العراق الآن, من شأنه أن يدمر العراق, ويشعل فتنة داخلية تقود إلى تقسيم هذا البلد, والأخطر من ذلك, إن هذه الفتنة قابلة لأن تنتقل عدواها إلى بعض دول الجوار...!

تبدو المسألة غاية في التشابك والتعقيد, خاصة ونحن نقف أمام جملة حقائق تتصل بالوضع العراقي والإقليمي ممثلة فيما يلي:

أولاً: إصرار الرئيس العراقي السابق صدام حسين على العودة إلى السلطة في العراق. وتنبع أهمية هذا الإصرار من حقيقة أن صدام حسين يقود القسم الأكبر من المقاومة العراقية[2]

ثانياً: أن المقاومة العراقية غير موحدة, وغير متجانسة من حيث التنظيم والعقيدة والسياسات والغايات والأهداف, فإلى جانب صدام حسين الذي يقود مقاومة حزب البعث, هناك مجموعات من المقاتلين السلفيين القريبين من فكر أسامة بن لادن, وهناك كذلك مجاميع من الإخوان المسلمين العراقيين الذين لم يرتضوا مشاركة أمين عام حزبهم الإسلامي العراقي في عضوية مجلس الحكم الانتقالي, وهم يشكلون القاعدة

---

[1] ( ) الرأي 7/12/2003.

[2] ( ) هذه وجهة نظر الكاتب... المحرر.

الرئيسية للجماعة والحزب في العراق.

ثمّ إن كل هذه المجاميع غير قابلة للتوحّد في إطار جبهة وطنية موحّدة لتحرير العراق, ذلك أن مرارات الماضي تزيد من تعقيد الأمور, إضافة إلى الاختلاف البيّن في الأهداف والغايات, إذ لا يمكن لغير البعثيين أن يؤيدوا عودة صدام حسين إلى السلطة, كما أن قطاعات واسعة من البعثيين قد لا تؤيد ذلك أيضاً, لكنها قد تكون الأقل فعلاً الآن, مقارنة بالمقاومة التي يقودها الرئيس السابق.

ثالثاً: وعلى الصعيد الطائفي والعرقي, فإنّه يكاد يكون هناك إجماع في صفوف الشيعة والأكراد على رفض عودة النظام السّابق[1], بل إن عدم مشاركة الشيعة في المقاومة على نطاق واسع حتى الآن مرده عاملان, **أولهما** الخشية من أن تؤدي المقاومة إلى عودة النظام السابق, **وثانيهما** إن الشماتة بسقوط ذلك النظام أخذت بالتفاعل مع المزاعم الأمريكية بشأن إقامة نظام حكم ديمقراطي في العراق يعتقد –خاصة الشيعة- أنه سيؤدي بشكل تلقائي إلى توليهم السلطة في عراق المستقبل.

هذا الاعتقاد تحديداً هو ما يقف وراء إصرار آية الله علي السيستاني, المرجع الأعلى للشيعة في العراق على ضرورة إجراء الانتخابات أولاً, ومن ثم نقل السّلطة للعراقيين, لكي يضمن تأثير الدور الشيعي في صياغة نظام الحكم المقبل, وخشية من أن يؤدي نقل السلطة أولاً إلى تفصيل ديمقراطية خاصة تكون وظيفتها بالأساس تحجيم الدور الشيعي ف ي عراق الغد.

رابعاً: المخاوف التي يعبر عنها السيستاني, وهو بالمناسبة إيراني, تقابلها مخاوف معاكسة لدى دول الجوار "باستثناء إيران" وكذلك لدى الولايات المتحدة الأمريكية. وتتمثل هذه المخاوف في أن سيطرة الشيعة على نظام الحكم في العراق من شأنه أن يكرّس لحمة التحالف الإيراني-السوري, ويوسعه ليشمل العراق, مع الأخذ بعين الاعتبار امتداد هذا التحالف في لبنان من خلال حزب الله, وعدم تجاهل التحفظ السوري -لحسابات داخلية محضة- على مسألة الانقسام الطائفي, لكن مع الأخذ بعين الاعتبار إن هذا التحفظ لم يحد من تأثيرات الثورة الإيرانية على أمن دول الجوار نهاية سبعينيات القرن الماضي, وأوائل الثمانينات, إذ لعب صدام يومها الدور الحاسم والأساس لهذه الجهة, لحسابات عدة تجدر بأن تعالج يوماً بعمق.

ولئن كان الطرف الشيعي الأبرز سياسياً في العراق ممثلاً في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق يبدو الآن في موقع الحليف للولايات المتحدة من خلال مشاركته في عضوية مجلس الحكم الانتقالي, فإن ذلك يجب أن لا يغفل العيون عن حقيقتين هامتين:

-إن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق هو الأقرب من بين

[1] ( ) هذه العبارة توحي بأن الشيعة والأكراد هم فقط من يرفض عودة الرئيس المخلوع, وأن أهل السنة يرغبون بعودته, لأنه سني وهذه مغالطة واضحة, فإن أهل السنة نالهم من أذى وبطش صدام الشيء الكثير, مثل الآخرين, وصدام لم يكن يوماً ناصراً لمذهب السنة أو مدافعاً عنه..... المحرر.

ممثلي الشيعة الآخرين لإيران, ذلك أنه الوحيد الذي يؤمن بنظرية ولاية الفقيه, وهو الإيمان الذي يجعل من علي خامنئي المرجعية الدينية والسياسية لهذا المجلس.

-إن الحقيقة السابقة تكمن وراء العلاقات الممتازة والمميزة التي تربط المجلس بحزب الله في لبنان, على الرغم من الافتراق الشكلي بينهما لجهة طبيعة علاقة كل طرف منها بالولايات المتحدة. ذلك أن مشاركة المجلس في عضوية مجلس الحكم الانتقالي لا يجوز النظر إليها خارج عملية التزاوج ما بين "التقية" الشهيرة, وتكتيكات تضع السلطة المستقبلية في العراق باعتبارها الهدف الأول أمام المجلس.

ثم إن الأكثر خطورة من توسع التحالف السوري-الإيراني هو تأثيراته المستقبلية المتوقعة على دول الجوار, وهي تأثيرات يجب أن تأخذ معالجتها بعين الاعتبار حقيقة أن قسوة النظام السابق في العراق لم تكن العامل الوحيد الذي أنتج الانقسامية في العراق, إذ سبقها ابتداء, ثم تفاعل معها, إصرار بعض الأطراف الشيعية في رفض ومقاومة ومعارضة أي حكم غير شيعي, وهذا يشمل العديد من دول الجوار العراقي التي سبق للثورة الإيرانية إن حركات معارضات طائفية داخلها[1].

[1] ( ) يشير الكاتب ضمنا إلى المخططات التخريبية الإيرانية التي كانت ينفذها الشيعة في الخليج وخاصة في الكويت والبحرين ضد بلدانهم... (المحرر).

جول الصحافة

دولة داخل الدولة ((بحث في جذور تشكيل الهيئات المتوازية في الإدارة الإيرانية))

أكرم ديدارى

مختارات إيرانية – العدد 40 - نوفمبر 2003

تمهيد:

هذه الفقرات المطولة بقلم كاتب إيراني, يلقي الضوء على ظاهرة سياسية إيرانية بارزة تتعلق بالازدواجية في السلطة, وتهميش الحكومات التي برزت من بداية الثورة, وكان الهدف منها في البداية إقصاء أي حكم يخالف حكم رجال الدين.

والهدف منها الآن هو التعايش مع المجتمع الدولي والانفتاح على دور الجوار من خلال حكومة معلنة تخاطب الآخرين بما يحبون, مع وجود سلطة أخرى أقوى منها تمارس سياسات مغايرة لما هو معلق! للوصول إلى مصالحهم الذاتية على حساب الآخرين!! .....الراصد.

المسئولون والسياسيون في إيران قلقون من أن تصير حكومة الظل التي تسمى في المحافل الرسمية بالمؤسسات المتوازية أوسع نفوذاً وأضخم من الناحية الهيكلية من مؤسسات الحكم الأساسية والرسمية.

ومن بين السياسيين ورجال الدولة في إيران لا يوجد الشخص المستعد لأن يحدد تلك المؤسسات المتوازية وينهض للخوض في شئونها ويعتبر الجميع أن تدخل المؤسسات المتوازية يضع عقبات عدة أمام تحقيق الأهداف الإصلاحية لحكومة خاتمي.

وقد تحدث الرئيس خاتمي عن جهود تبذل للقضاء على ظاهرة الدولة داخل الدولة أو حكومة الظل، لكنه هو أيضاً تحاشى ذكر الأجهزة والمؤسسات التي تعمل بشكل متوازٍ مع المؤسسات الرسمية بالدولة على حد زعمه.

وعلى الرغم من هذا فإن هناك إجماعاً بين السياسيين الإيرانيين حول أسلوب عمل تلك المؤسسات المتوازية الذي يضع إعاقة وإفشال برامج حكومة خاتمي هدفاً رئيسياً له.

تعود بداية نشاط المؤسسات المتوازية إلى المرحلة التي تلت فتح ملف سلسلة الاغتيالات واكتشاف التشكيل المسئول عنها داخل وزارة الاستخبارات الإيرانية، هؤلاء الأشخاص المسئولون عن تنفيذ الاغتيالات متقاربون من الناحية الفكرية مع تيار المؤسسات المتوازية، ورأوا أن المجال صار ضيقاً لمواصلة نشاطاتهم الخاصة داخل وزارة الاستخبارات، فعمدوا منذ العام الماضي إلى اعتقال النشطين السياسيين, ونشطوا بشكل علني في المحافل السياسية وعلى الصعيد العام لدرجة أنهم ضغطوا على نواب مجلس الشورى الإسلامي لكي يقدموا طلب إحاطة لعلي يونسي وزير الاستخبارات أمام لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية لبحث موضوع السعى لسلب سلطة وزارة الاستخبارات ومحاولة إقصائها

من الساحة، تم هذا على نحو أوضح، أن النهج الذي أدى إلى وقوع سلسلة الاغتيالات قد انتقل إلى أماكن أخرى من أجهزة الدولة على حد قول محسن ميردامادي رئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية بمجلس الشورى الإسلامي.

ويعتقد السياسيون أن المؤسسات المتوازية أو حكومة الظل لها أذرع طلابية وصحفية تعبر عن نفسها بشكل أوضح وتحدث أثراً أكبر على المجتمع من المؤسسات الرسمية، لدرجة أن الحديث المتداول في الساحة يدور حول أن تدخل الأذرع الطلابية للمؤسسات المتوازية هو الذي أجبر مصطفى معين وزير العلوم والتقنية على الاستقالة.

يعتقد الناقد السياسي علي رضا رجائي أن هيكل النظام السياسي في إيران مثل كثير من الدول النامية يتكون من مؤسسات عدة تسعى كل واحدة منها إلى تحجيم مجال عمل الأخرى، وهذا الهيكل ظهر كنتيجة لتنوع البنية المحيطة في المجتمع. إن التنوع الواسع وتعقد التركيبة الطبقية في المجتمع الإيراني حّول هيكل السلطة من الناحية العملية إلى أقسام متشعبة تضم وحدات مستقلة عن بعضها البعض. في مثل هذا الوضع تتعدد مراكز السلطة وتسمى بحكومة الظل في مقابل بنية السلطة الرسمية للدولة.

إن حكومة الظل تتوازى مع الحكومة الرسمية وتضم مجموعة من مراكز السلطة غير الرسمية لكنها ذات سلطة واسعة تقف الحكومتان في مواجهة بعضهما في محاولة للتحجيم المتبادل.

من الطبيعي أن يؤدي تشكيل حكومة الظل بجوار الحكومة الرسمية إلى فشل برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية وخلق نوع من عدم الرضا العام.

إن تشكيل حكومة الظل في إيران ليس قاصراً على مرحلة خاتمي فقط، فقد كانت موجودة إلى جوار حكومة مهدى بازرجان وحكومة مير حسين موسوى وحتى حكومة هاشمى رفسنجانى، وقد واجهت هذه الحكومات تحديات صعبة من جراء تشكيل حكومات الظل، لكن في حكومة خاتمي برزت هذه القضية على نحو أوضح، والحقيقة أنه على مدار جميع سنوات ما بعد الثورة الإسلامية كانت هناك حكومة ظل إلى جوار الحكومة الرسمية.

جولة الصحافة

إيران: قتلى في مواجهات بين متظاهرين والحرس الثوري

جريدة الشرق الأوسط – 2/12/2003

جاءت الأنباء التي تحدثت عن قسوة رجال الأمن الإيرانيين في قمع المظاهرات التي اندلعت في منطقة بلوشستنان السنيّة في إيران مؤخراً لتثير مجدداً وضع أهل السنة في إيران, وما يعانونه من ظلم وتهميش على أيدي الحكام الشيعة.

البلوش في إيران هم سنة من جهة وعرب من جهة أخرى, ولعلّ هذا ما يضاعف من مأساتهم في هذه الجمهورية, عندما يجتمع التشيع الحاقد على أهل السنة والفارسية الحاقدة على العنصر العربي.

طهران-لندن:

أعلن جعفر كمبوضيا النائب الاصلاحي عن مدينة زهدان الإيرانية أن مواجهات عنيفة جرت أول من أمس بين متظاهرين إيرانيين من الأقلية البلوشية وقوات الحرس الثوري في منطقة ساراوان التي تقع في محافظة سيستان – بوشستان على مقربة من الحدود مع باكستان مما أسفر عن مقتل وإصابة العشرات. ونقلت وكالة الأنباء الطلابية الإيرانية (ايسنا) عن كمبوضيا قوله أن المواجهات تفاقمت عندما قامت قوات الحرس الثوري بإطلاق النار عشوائياً على المتظاهرين. وأضاف كمبوضيا "أطلقت الشرطة النار وقتلت سائق سيارة رفض التوقف". وتابع المسؤول الإيراني "للأسف ورغم النصائح التي قدمتها السلطات المحلية إلى قوات الأمن بتجنب القسوة في إعادة الأمن, تدخل عدد من عناصر الأمن وأوقع إطلاق النار أربعة قتلى", موضحاً أنه لم يصب أي عنصر من قوى الأمن. ولم يوضح كمبوضيا ما إذا المتظاهرون قد أطلقوا هتافات مناهضة للسلطة خلال التظاهرة. غير أن مصادر أخرى ذكرت نقلاً عن شهود عيان أن الحرس الثوري الإيراني تصدى أول من أمس إلى مظاهرة في منطقة تسكنها الأقلية البلوشية, مما أدى إلى مقتل ما لا يقل عن 30 شخصاً من الأقلية البلوشية بينهم طفل في العاشرة من عمره, وإصابة أكثر من 80 آخرين بجروح, وتبع ذلك إعلان حالة الإحكام العرفية في المنطقة. وذكر الشهود أن الاحتجاجات تأججت بسرعة كبيرة عندما وقع ضحايا مدنيون. فقام المتظاهرون بإحراق البنوك والمكاتب الحكومية والمحلات. وقال ملال ميردورا أحد شهود العيان أن المتظاهرين الذين قد عددهم بعدة آلاف تجمعوا تدريجياً مع ورود أنباء عن سقوط ضحايا من البلوشيين وحاولوا ضرب رجال الحرس الثوري ففتح رجال الحرس الثوري النار عليهم. ووصف ميردورا الأمر بـ "ثورة", حيث أحرق المتظاهرون شعارات الجمهورية الإسلامية والمكاتب الحكومية وقاموا بضرب رئيس الإدارة المحلية ورئيس الشرطة. وأضاف ان السلطات أمرت المستشفى في المنطقة بعدم معالجة الجرحى. وادّعى أن قوات الأمن قامت بإطلاق النار على المصابين والجرحى في المستشفى, وأنه تم اعتقال 300 شخص. وذكر أن السلطات حاوت قطع الاتصالات الهاتفية بين المنطقة والعالم الخارجي, إلا أنه تمكن

من الاتصال ببعض وسائل الإعلام عبر التليفون الجوال والانترنت. ويـذكر أن الأقلية البلوشية تشكل 2% من مجموع سكان إيران.

الراصد

أميركا والشيعة... تحالف محتمل أم حقيقي؟

بقلم / صالح السيد باقر
الجزيرة نت.

بسقوط نظام صدام حسين في شهر أبريل الماضي وجد الشيعة في العراق أنفسهم أمام جملة من المتغيرات, وصار هذا البلد يشهد صعوداً شيعياً لافتاً.

قضية الحكم تؤرق بال الشيعة وتستدعي منهم إعادة حساباتهم ودراستها دراسة دقيقة, ذلك أن الكثيرين يرون أن الوصول إلى حكم العراق لن يكون إلا عن طريق الأمريكيين, ومن خلال الحكم الأمريكي, فالأمريكيون هم الذين أعطوا الشيعة ما لم يكونوا يستطيعون الحصول عليه زمن النظام السابق وهم الذين يهمشون أعداءهم السنة.

في المقال, يعرض كاتبه وهو شيعي للمواقف السياسية للتيارات الشيعية البارزة في العراق, وبعضاً من توجهاتها, ننقله لكم بتصرف.

أولاً: السيستانيون:

لم يرث آية الله السيد علي السيستاني مرجعية السيد أبي القاسم الخوئي وحسب وإنما ورث اتجاهه السياسي المحافظ أيضاً, غير أن الصمت السياسي بحد ذاته يعد موقفاً, وأقل ما يمكن اعتباره هو عدم تأييد أي طرف سياسي, وحتى سقوط صدام كان السيستاني مرجع الذين لا يرغبون في التدخل في السياسة ليس في العراق وحسب وإنما في كافة البلدان الإسلامية.

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن الشيعة المتنفذين في البلدان الإسلامية سواء كانوا رجال أعمال أو مسؤولين في السلطات يقلدون المرجع

السيستاني, وغالباً ما تكون هناك علاقة حميمة بينهم وبين السلطات لأنهم يرفضون التدخل في الشؤون السياسية لحكوماتهم[1].

وأردت بقولي "حتى سقوط صدام" أن السيستاني ومن قبله الخوئي ربما اضطرا إلى عدم التدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية نتيجة الكبت الذي مارسته حكومة صدام ضد كافة مكونات الشعب العراقي, ولكن بعد أن طوى العراق صفحة الحقبة المظلمة في تاريخه الحديث فليس من المستبعد أن يلعب السيستاني دوراً سياسياً, خاصة إذا تشكلت حكومة ذات أغلبية شيعية.

وتجدو الأمريكيون رغبة جامحة في أن يلعب السيستاني دوراً سياسياً محافظاً أو إرشادياً في العراق, وذلك ليسدوا الطريق أمام بعض التنظيمات الشيعية المتشددة, وكذلك ليكونوا في مأمن من وجود معارضين أو منافسين أقوياء, إذ لا نبالغ إذا قلنا إن نحو نصف شيعة العراق يقلدون (يتبعون) السيستاني, كما أنه سيحد النفوذ الإيراني في العراق الأمر الذي طالما رغبت واشنطن في تحقيقه[2].

ثانياً: التيار الإيراني:

يخطئ من يتصور أن التنافس بين قم والنجف على زعامة الشيعة سيبلغ ذروته في العهد العراقي الجديد, إذ إن هذا التنافس حسم قبل أكثر من عقدين. فبعد مجيء الجمهورية الإسلامية ظهر تيار سياسي جديد في الطائفة الشيعية, لذلك فإن من كانت تحدوه الرغبة في التغيير والحركة والعمل السياسي اتبع ولاية الفقيه أو مرجعية الإمام الخميني آنذاك, ومن كان لا يرغب في التدخل بالسياسة (سواء بداعي الخشية على مصالحه أو بسبب ظروف البلد الذي يعيش فيه) فإنه اتبع السيستاني.

وتجدر الإشارة إلى أن الأحزاب الموالية لإيران كالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق, تستمد توجهها السياسي من المعادلة السياسية التي تعيشها المرجعية الإيرانية. وبما أن هذه المرجعية محكومة بالانسجام مع المستجدات الدولية والإقليمية, فمجال المناورة لديها محدود للغاية, الأمر الذي ينعكس على الأحزاب الموالية لها وينعكس بدوره على شعبية هذه الأحزاب.

ثالثاً: الشيرازيون:

يوالي تيار الشيرازيين المرجع الديني السيد صادق الشيرازي الذي تولى قيادة التيار قبل عامين بعد وفاة أخيه السيد محمد الشيرازي الذي أرسى دعائم هذا التيار منذ الستينات. ومع أن هذا التيار ظهر كرد فعل على المرجعية الشيعية المحافظة –شأنه شأن المرجع الديني الراحل الإمام

---

[1] ( ) هذا التعميم غير صحيح فإنه يوجد كثير من الشيعة المتنفذين في البلدان الإسلامية الذين يجاهرون بالولاء لإيران ويدينون بالطاعة للفقيه فيها من زمن الخميني وحتى يومنا هذا, ويكفي مثالاً على ذلك رفع صور الخميني وخامنئي وحسن نصر الله في مسيرات الشيعة في البحرين!!!... الراصد

[2] ( ) لكن لا بد من تذكر أن السيستاني إيراني أصلاً وليس عراقياً.....الراصد.

الخميني- فإنه يتميز عن التيار الإيراني بالدعوة إلى الانفتاح السياسي والاقتصادي والفكري[1].

ورغم ريادة الشيرازي في الدعوة إلى التجديد ومواكبة التطور, فإن تياره ليس ذائع الصيت.

غير أن الانفتاح الذي يعيشه العراق في الوقت الحالي لو استمر, فليس من المستبعد أن يكون هذا التيار هو الأبرز في الطائفة الشيعية لأنه لم تتوفر له في السابق الأجواء المفتوحة التي يطرح فيها أفكاره, وكذلك فإن تاريخ التيار خال من المساومات السياسية, فعلى سبيل المثال لم يتعاون لحد الآن مع الأميركيين. بالإضافة إلى الأفكار الجديدة التي يطرحها كنظرية اللاعنف, فإن أنصاره لديهم نشاط اجتماعي مكثف على صعيد نشر الوعي وتقديم الخدمات.

كما أن التيار يتمتع بعامل آخر من عوامل القوة, وهو انتشار أنصاره في أغلب دول العالم فأينما وجدت شيعة فستجد الموالين للشيرازي بينهم.

وتيار الشيرازي يضم العديد من الأجنحة ومراجع الدين, كمرجعية آية الله السيد محمد تقي المدرسي الموجود حالياً في العراق, وكذلك آية الله السيد مرتضى القزويني, كما يضم العديد من الأحزاب السياسية كمنظمة العمل وحركة الوفاق والجبهة الوطنية الإسلامية وحركة الجماهير, ورغم اختلاف المسميات فإن الجميع ينتهج فكر الشيرازي.

رابعاً: حزب الدعوة:

الذي يغلب عليه الطابع البراغماتي, لذا لا يمكن القول إنه حزب ديني خاصة أن مرجعيته الدينية غير معروفة, فتارة يدعو للإمام الخميني ومن ثم للمرشد الخامنئي, وتارة إلى الخوئي ومن ثم إلى السيستاني, وفي الآونة الأخيرة بدأ يروج لأفكار السيد محمد حسين فضل الله[2].

فعدم وضوح مرجعية الحزب يبين أن لديه أطروحة أوسع من حصر العمل السياسي في إطار المرجعية, الأمر الذي يعارضه أغلب مراجع الشيعة.

ولا شك أن مستقبل الحزب يتوقف بشكل كبير على مدى تحركه في الوسط الشعبي, ولو استمر في التغيير السريع لمواقفه كما حدث خلال تأسيس مجلس الحكم العراقي فقد فاجأ الشارع العراقي بترؤس إبراهيم الجعفري القيادي في الحزب للمجلس بعدما كان يقاطعه.. لو استمر على ذلك فإن الشعب سيسحب ثقته به.

---

[1] ( ) كان هذا التيار قديماً يؤمن بولاية الفقيه, ولما انفرد الخميني بالزعامة, طور الشيرازي رؤيته للولاية الجماعية للفقهاء, وبعدها تبنى نظرية اللاعنف بعد أن تبين له انعدام إمكانية العمل الثوري. للمزيد راجع كتاب أحمد الكاتب (الشيرازي).... الراصد.

خامساً: الصدريون:

وهم أنصار السيد مقتدى الصدر الذي تم تهميشه بشكل متعمد في أي تشكيلة حكومية, لذلك لا ينبغي أن نستغرب إذا اتخذ مواقف متشددة إزاء قوات الاحتلال ومجلس الحكم.

فتيار الصدر يرى أن أي حزب في مجلس الحكم لا يمتلك الشعبية التي يمتلكها, وفي الوقت الذي يستأثر فيه أعضاء المجلس بالسلطة فإنه لم يمنح أي دور فيها. وبالتأكيد فإنه لا يرضى بدور يضاهي دور الذين تقل شعبيتهم عن شعبيته, من هنا فالخيار الوحيد المتاح لهذا التيار هو الاستمرار في المعارضة لحين إجراء الانتخابات العامة.

ومن أبرز ما يأخذه منافسو تيار الصدر على التيار أنه لا يمتلك إستراتيجية واضحة ولا مرجعية كفؤة, إذ لم يبلغ مقتدى الصدر حتى الدرجات الوسطى في العلوم الدينية, وقد أقر هو في أكثر من مقابلة بأنه ليس مرجعاً للشيعة.

المؤهلون لزعامة الشيعة:

اتضح مما سبق أن التيارين الإيراني والسيستاني جربا حظهما في تزعم الطائفة الشيعية وقد انحسم أمرهما منذ سنوات عديدة, فمن يريد اتباع النظرية الإيرانية فما عليه إلا أن يقلد مرشد الجمهورية الإسلامية السيد علي خامنئي, ومن لا يريد التدخل في السياسة فعليه اللجوء إلى المرجعية البارزة في مدينة النجف الأشرف (السيستاني).

كما اتضح أن حزب الدعوة ومقتدى الصدر لم يطرحا نفسيهما على أنهما يسعيان إلى تزعم الشيعة, فيبقى التيار الوحيد الذي لم يجرب حظه في مخاطبة الرأي العام الشيعي بحرية مطلقة هو الشيرازي بما فيه مرجعية المدرسي والأحزاب المنتمية إلى هذين المرجعين. ومن المرجح أن يلعب هذا التيار دوراً بارزاً في المستقبل, ليس في العراق وحسب وإنما على صعيد الطائفية الشيعية برمتها.

---

[2] ( ) وسبب ذلك أن فضل الله أصلاً من تلاميذ محمد باقر الصدر مؤسس حزب الدعوة.

المصالحة الأمريكية مع إيران لدعم نفوذ الشيعة في المنطقة العربية

د.نبيل العتوم

من خلال تحليل للأحداث والوقائع التي عصفت بالمنطقة, تبرز العديد من التساؤلات المهمة والخطيرة وهي: لماذا لم يشارك الشيعة في مقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان؟ ولماذا لم تبرز حركات مقاومة مسلحة أو حركات احتجاج تلجأ إلى العنف للتعبير عن غضبها ضد السياسة الأمريكية من رحم المذهب الشيعي على عكس المذهب السني الذي جاءت منه معظم الحركات التي هددت مصالح أمريكا والغرب وإسرائيل؟ وهل من مصلحة هذه الأطراف دعم الأقليات الشيعية والدول التي تدعمها "إيران" بهدف الحد من ظاهرة العنف التي باتت تهدد دعائم وأسس الاستقرار في المنطقة وتعديل الميزان المذهبي، وبالتالي تحقيق أهداف أمريكا والغرب في المنطقة؟ وهل من مصلحة أمريكا تبني هذه الاستراتيجية ولماذا ؟

من الواضح للعيان أن الولايات المتحدة بدأت تسمح لإيران بممارسة استراتيجية تُسهل بموجبها لإيران التمدد مذهبياً في الدول العربية، فالولايات المتحدة الأمريكية عانت من الحركات الإسلامية المسلحة التي ولدت من رحم المذهب السني، وباتت تضرب أمريكا في عقر دارها "تنظيم القاعدة"، وتكبدت الدولة العبرية خسائر فادحة من جانب حماس، الجهاد الإسلامي"، هذا عدا ضرب مصالح الغرب في مناطق مختلفة من دول العالم، هذه الجوانب طرحت تساؤلات مهمةً، لماذا لم تنشأ حركات إسلامية مسلحة أو احتجاجية من رحم المذهب الشيعي "مع استثناء" ظاهرة حزب الله الذي كان عبارة عن ردة فعل طبيعية للاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان؟ ولماذا مارست إيران والأقليات الشيعية في العالم العربي سياسة ضبط النفس تجاه استهداف الغرب للمنطقة العربية ولم تخرج عن إطار ضبط النفس وتحاول التعبير عن نفسها عن طريق التظاهرات الاحتجاجية ؟.

ثم لماذا لم ينتفض الشيعة ضد أمريكا وبريطانيا احتجاجاً على استهداف إخوانهم وشركائهم في المذهب في كل من العراق وأفغانستان؟

وهذا الأمر يقود إلى تساؤل مهم وهو هل رسمت إيران استراتيجية للتعامل الهادئ مع هذه الملفات لتحقيق مكاسبها وبشكل ذكي، وحيدت أي نشاط للشيعة، سواء في إيران أو خارجها لجني المكاسب التي تسعى إليها؟

إن أمريكا قد أدركت بما لا يدع مجالاً للشك أهمية الدور المستقبلي للطائفة الشيعية في العالم، وضرورة تعزيز دورها داخل هذه المجتمعات، وهذا بدوره يحقق لها عدة مكاسب:

1- ستكون الطائفة الشيعية بديلاً جيداً عن أهل السنة للتعامل معها للحد من نفوذ الحركات الإسلامية السنية.

2- لن تُمثل هذه الطوائف الشيعية خطراً حقيقياً على مصالح أمريكا ومصالح الغرب عموماً، وهذا ما أثبتته التجارب العملية من خلال التعامل معها كطوائف كفئات شيعية أو تنظيمات، وليس لدى هذه الطوائف أية امتدادات

مقاومة لتمارس من خلالها عنفاً مسلحاً ضد العرب وأمريكا على عكس الحركات السنية.

3- لتحقيق ذلك سوف تسعى أمريكا الى تبني مجموعة من الاستراتيجيات:

أ- الضغط على الأنظمة والحكومات العربية بهدف منح الاقليات الشيعية الموجودة في هذه الدول مزيداً من الحريات والحقوق.

ب-توجيه هذه الحكومات لدعم مطالب الشيعة في هذه الدول لضمان مشاركتهم الفاعلة في مؤسسات الحكم ولنشر مذهبهم وتوسيع قاعدتهم الشعبية.

جـ- دعم تمثيل الشيعة في الدول التي أصبحت تشكل بشكل مباشر مناطق النفوذ الأمريكي، وهذا ما حصل بالفعل في العراق وأفغانستان، ومحاولة استرضائهم بمختلف السبل، من خلال إسناد وظائف مرموقة لهم في مؤسسات الحكم في كلا الدولتين بالضغط، والشروع بالضغط على حكومات دول الخليج وسائر الدول الأخرى التي يوجد فيها حضور للشيعة وهذا ما حدث فعلاً في المملكة العربية السعودية.

د- إن الضغط على هذه الدول قد أوجد حالة من المصالحة بين الولايات المتحدة وإيران، حيث نجحت الولايات المتحدة جراء ذلك في تعديل السلوك الإيراني. وإن كان هذا التصالح يقوى ويضعف بين فترة وأخرى مع الأخذ بعين الاعتبار إرضاء إيران لبيئتها الداخلية، وتفهمها لمشكلات أمريكا الأمنية ومصالحها الاستراتيجية في المنطقة على صعيد بيئتها الخارجية.

هـ- الضغط على الدول الأوربية لإعطاء هامش واسع من الحركة للأقليات الشيعية الموجودة على أراضيها، ودعم مؤسساتها الثقافية والدينية، وعلى هذا الأساس يلاحظ أن أمريكا والغرب لم يبدوا حرصهم على إخضاع هذه المؤسسات لنوع من المراقبة الدقيقة، أو تجفيف مصادر تمويلها على غرار ما حدث بالنسبة للحركات الإسلامية والجمعيات السنية.

النتيجة أن إيران والشيعة عموماً سيحققون كثيراً من المكاسب إذا نجحوا في التعامل مع أمريكا وفق المنظور السابق، وسوف يُعزز نجاح هذا السيناريو مفهوم الطوق الشيعي الذي تحاول إيران تحقيقه، ولكنها لن تنجح إذا لم تعزز أواصر التفاهم مع أمريكا، ومن المؤكد أن إيران قد أدركت فعلاً مغزى السياسة الأمريكية، وتتبنى استراتيجية غير معلنة لتحقيق مكاسبها، وكذلك فإن تحقيق إيران لهذا الهدف هو رهن باستمرار سلوكها لدبلوماسيتها الهادئة في تعاملها مع الملفات المتفجرة في أفغانستان والعراق، وفي تعاملها مع الملفات الشائكة خصوصاً مسيرة السلام في الشرق الأوسط والتنظيمات المعارضة لها، هذا عدا عن قضايا أخرى مثل الملف النووي وحقوق الإنسان.

العراك في العراق: الأكاذيب والأساطير[1]

لا مفر من الاعتراف قبل التعامل مع ما جرى من مسخ وتشويه في العراق بأن أغلب الرموز العراقية التي أسهمت في التحريض على غزو العراق ثم عادت إلى بغداد فوق الدبابات, وعملت على تكريس وجود الاحتلال, كانت لها وما زالت حساباتها ومنطلقاتها الطائفية والعرقية. لن نتحدث عمن استخدمتهم أجهزة المخابرات الأمريكية واخترعت لهم أحزاباً وألقاباً واصطنعت لهم زعامات وهمية, فهؤلاء مكشوف أمرهم أمام الرأي العام, وقد "احترقوا" جماهيرياً. إنما الأولون هم الذين يهموننا بشكل أكبر, سواء لأنهم أسهموا بقصد أو غير قصد في إحداث التشويه الذي نعنيه, أو لأن من شأن منطلقاتهم وخطاباتهم أن تنذر بإشعال حريق كبير في البلد بأسره.

استطراداً من هذه النقطة, فإنني انبه إلى أننا نرتكب خطأ كبيراً إذا قرأنا العراق من خلال أقوال المتطرفين وحساباتهم, علماً بأن هؤلاء موجودون في كل جانب, وليس حضورهم مقصوراً على فئة دون أخرى. والمشكلة أنهم الأعلى صوتاً –في العراق كما في غيره- ثم أنّهم أقدر من غيرهم على إثارة الجماهير ودغدغة مشاعرنا.

وفي ظل الهرج والصخب اللذين سادا الساحة العراقية بعد طول انحباس (هناك 150 مجموعة سياسية جديدة و 200 صحيفة ومجلة) فإن الحابل اختلط بالنابل, بحيث لم يعد يعرف الأصيل من الدخيل أو العميل, وهو ما أحدث قدراً لا يستهان به من البلبلة أسهم في تغييب وجه العراق الحقيقي, والتشويش على صوت الأغلبية الصامتة التي ما زالت مأخوذة بما جرى.

أسجل في هذا السياق أنني ما تمنيت أن أخوض في أمر الطوائف وحظوظها في العراق, وأزعم أن حديثاً من ذلك القبيل جدير بأن يوصف حقاً بأنه "أبغض الحلال" إذ تنتابني إزاءه رغبة قوية في مقاومة الاستدراج إلى ساحة هيأها الاحتلال وأعوانه, فنتجادل في شأن تضاريس العراق الطائفي, وننصرف أو نتلهى عن العراق المحتل لكنني بالمقابل أجد من الضروري التصدي لحملة الشائعات القوية التي أطلقت حول وضع الطوائف في العراق, وأسهمت في إحداث التشويه الذي نريد التخلص منه, والذي لا تخطئ عين المراقب خطره في الحاضر والمستقبل.

لسنا نتحدث عن حالة افتراضية, لأننا بازاء واقع شأنه يجري تكريسه والتنظير له بحملة من الشائعات والأكاذيب. وقد كان التشكيل الطائفي لمجلس الحكم بمثابة الطلقة الأولى في الفتنة الحاصلة, ولأنه أول كيان مؤسسي أقامته سلطة الاحتلال, فقد كان باعثاً على التشاؤم والتوجس, إذ حين يصبح "أول القصيدة كفراً" والعياذ بالله, فإن استشعار الخطر يغدو واجباً, والاستنفار لمواجهته يصبح أوجب.

---

[1] ( ) فهمي هويدي العرب اليوم 16/12/2003.

حكاية اضطهاد صدام حسين للشيعة أكثر الشائعات رواجاً, وهي تضفي عليه صفة لا يستحقها, من حيث أنها تصوره زعيماً سنياً انحاز إلى أهل مذهبه ضد غيرهم. والترويج لتلك المقولة تبناه نفر من متعصبي الشيعة الذين هاجروا إلى الخارج, (بعض الباحثين الأمريكيين من اليهود خاصة لهم نفس الموقف) وقد استخدمها هؤلاء وهؤلاء في تحريض الإدارة الأمريكية وإقناعها بمظلوميتهم, كما وظفت المقولة لحث عامة الشيعة على الترحيب بالغزاة باعتبارهم مخلّصين ومحررين, الأمر الذي قدم خدمة جليلة للاحتلال, وأساء إلى موقف الشيعة أيما إساءة.

رغم أن صدام حسين من أهل السنة حقاً, لكن أحداً لا يستطيع أن يدعي أنه كان متديناً, (كان قد ادعى التدين بعد هزيمته في الكويت) وليس صحيحاً أنه كان مع أهل السنة أو إنه كان ضد الشيعة, لكنه ككل جبار في الأرض كان ولاؤه "وعقيدته" محورها طموحاته الشخصية, وإذا ذهبنا بعيداً في إحسان الظن به, فقد نقول –ببعض التحفظ- أنه كان "تكريتياً", وانحيازه لأهل تكريت واعتماده عليهم في الدائرة الضيقة التي أحاطت به لم يكن اعتزازاً بأهله وعشيرته, وإنما لأنه كان يعتبرهم من "أهل الثقة", الذين يمكن استخدامهم لتثبيت أركان نظامه والحفاظ على أمنه الخاص, أي أن انحيازه لأهل تكريت كان بقدر استفادته من ولائهم لا أكثر, بدليل أنه لم يتردد في قتل من عارضه منهم أو شك فيه, ومن هؤلاء عمه الحاج سعدون التكريتي, وشقيق زوجته الأولى الفريق عدنان خير الله وزير الدفاع السابق, والفريق حردان التكريتي, وطاهر يحيى التكريتي الذي كان رئيساً للوزراء ورشيد مصلح التكريتي الذي كان وزيراً للداخلية...الخ.

على صعيد آخر فمن المعلوم أن الذين أعدمهم من أعضاء مجلس الثورة كانت نسبة السنة فيهم أعلى من الشيعة, كما أن الذين قتلهم من علماء السنة لم يقلوا وزناً عن قتلاه من علماء الشيعة.

الذي لا يقل أهمية عن ذلك أن صدام حسين لم يتردد في إبادة الأكراد الذين تمردوا عليه, واستخدم الغاز السام ضدهم كما حدث في "حلبجة", رغم أن أغلبيتهم الساحقة أحناف من أهل السنة. ولو كانت لديه ذرة من التحيز لهم لما عاملهم بتلك الوحشية المفرطة, علماً بأنه لم يستخدم ذلك الأسلوب في قمع انتفاضة الشيعة ضده في عام 1991.

ذلك لا ينفي أنه اتخذ عديداً من الإجراءات التي كان الشيعة ضحية لها, إلا أننا حين ندقق في تلك الإجراءات فسوف نلاحظ أنه أقدم عليها بدوافع تسلطية وانتقامية وليس انطلاقاً من دوافع مذهبية, أعني أنه عاقبهم ليس بوصفهم شيعة, ولكن لأسباب أخرى سنأتي على ذكرها حالاً.

لقد تعامل مع الشيعة باعتبارهم معارضة يجب سحقها وليس بحسبانهم اتباع مذهب مغاير لانتمائه. وتمثلت تلك المعارضة في "حزب الدعوة" الذي أسسه السيد محمد باقر الصدر, وظهر إلى حيز الوجود في عام 1969م وازدادت معارضة الشيعة له بعد توقيع اتفاق الجزائر مع شاه إيران في عام 1975 وإبعاده للإمام الخميني من مدينة النجف إلى خارج البلاد, وكان رده على تلك المعارضة شديداً وقاسياً, إلا أن التوتر بلغ ذروته مع قيام الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979 ودخول العراق في حرب ضد إيران الخمينة

في العام التالي, ثم تشكيل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق, واتخاذه طهران مقراً له, وهو ما أزعج صدام حسين خصوصاً بعدما أدرك أن ناشطي حزب الدعوة يرددون مقولات الإمام الخميني داخل العراق, وكانت نتيجة تلك العوامل أن انقلب الرئيس السابق على الشيعة, بسبب اعتقاده أن أغلبهم موال لإيران, فعملت أجهزته على قمع الناشطين منهم وطرد ومصادرة أموال العراقيين المتجنسين ذوي الأصول الإيرانية, وأولئك الذين كانوا قد سجلوا أسماءهم كإيرانيين في الأوراق الرسمية, لكي يتهربوا من التجنيد خلال الحقبة العثمانية.

من هذه الزاوية نقول بأن صدام حسين الذي لم تكن له مشكلة مع الشيعة قبل اتفاق الجزائر اتجه إلى قمعهم بعد ذلك لأسباب سياسية وليست مذهبية, وأن ذلك القمع تضاعف بعد الحرب التي شنها ضد الثورة الإسلامية بسبب شكه في ولاء بعض الشيعة لنظامه, علماً بأن الجيش العراقي الذي كان يقاتل ضد إيران كان أغلب جنوده وضباطه من الشيعة, ولأن الولاء عنده كان مقدماً على المذهب فإنه احتفظ في الدائرة القريبة منه بمن اطمأن إليهم من الشيعة, الذين كان منهم محمد حمزة عضو القيادة القطرية (من المطلوبين الخمسين ولا يزال مختفياً), والدكتور سعدون حمادي الذي عمل رئيساً لمجلس النواب.

ثمة أسطورة أخرى يروج لها تدعى أن الشيعة كانوا مظلومين ومغيبين في العراق منذ قامت الدولة في عشرينيات القرن الماضي, وتلك فرية لا أساس لها, لأن الحضور الشيعي في جسم الدولة وفي النسيج الوطني بشكل عام كان قوياً على نحو لا ينكره إلا جاحد, وفي ثورة العشرين التي قامت ضد الإنجليز كان مراجع الشيعة جنباً إلى جنب مع علماء السنة, على رأس الانتفاضة الشعبية التي عمت البلاد آنذاك. أما حضورهم في الساحة السياسية فقد كان بذات الدرجة من القوة, وكتاب "تاريخ الوزارات العراقية", لمؤلفه السيد عبد الرزاق الحسيني, وثيقة تشهد بذلك, وقد لاحظت أنه في الفترة الواقعة ما بين سنتي 52 و 58 تولى اثنان من السنة رئاسة الحكومة أحدهما أرشد العمري والثاني نوري السعيد بينما شغل المنصب اثنان من الشيعة هما محمد فاضل الجمالي, وعبد الوهاب مرجان, أما الأكراد فقد تولى رئاسة الحكومة ثلاثة منهم هم: جميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي وأحمد مختار بابان.

لقد كان أول أمين عام للقيادة القطرية لحزب البعث شيعياً, هو فؤاد الركابي, وكل قادة حركة القوميين العرب كانوا شيعة, بينهم سني واحد هو باسل الكبيسي, كما أن كل أعضاء القيادة القطرية الذين قاموا بانقلاب عام 63 كانوا من الشيعة وعلى رأسهم علي صالح السعدي وحازم جواد وهاني الفكيكي, كما أن السيد محمد مهدي كبة مؤسس حزب الاستقلال الوطني كان شيعياً, ومثل الطائفة في مجلس الرئاسة العراقي الذي شكله في عام 58 ومثل أمين الحزب الشيوعي مجيد موسى, الذي دخل مجلس الحكم الانتقالي ضمن حصة "الشيعة".

تطول القائمة ولا تكاد تنتهي إذا ما تابعنا الحضور الشيعي على مستوى الوزراء والسفراء وضباط الجيش, الأمر الذي يستغرب معه موقف أولئك الذين واتتهم جرأة الزعم بمظلومية الشيعة واضطهادهم في العراق. صحيح

أن بوسع المرء أن يتحدث عن مناطق فقيرة نسبياً تواجدت في بعضها أغلبية شيعية, وبسبب وضعهم الجغرافي والاقتصادي, فمن الطبيعي أن تقل حظوظ سكانها في التعليم والنمو, إلا أن وضعاً من ذلك القبيل مشابه للحاصل في صعيد مصر مثلاً, وينبغي أن يحمل على سوء التخطيط ولا يفسر باعتباره موقفاً طائفياً.

نعم لم يخل الأمر من وقائع متناثرة حدث فيها توتر بين الشيعة والسنة, إلا أن أحداً لا يستطيع أن يدعي أن الصراع الطائفي كان ظاهرة في العراق على مدار تاريخه, فحين قام أحد المدرسين السوريين العاملين بالعراق (اسمه أنيس النصولي) بتأليف كتاب عن الدولة الأموية في الشام ودرسه لطلابه, ورأى الشيعة فيما كتب عن الإمام الحسين مساساً بآل البيت, فإنهم غضبوا وشاع بينهم التوتر, وعولج الأمر بمنع تدريس الكتاب وإنهاء عمل الأستاذ وإعادته إلى بلده, ورغم أنها كانت بمثابة زوبعة في فنجان, فإنها لندرتها أصبحت تذكر في كتب التاريخ باسم "قضية النصولي" ويشار إليها ضمن أحداث عام 1927.

بقيت بعد ذلك حزمة من الشائعات والأغاليط الأخرى التي تنصب على الهوية الطائفية والعرقية للعراقيين وتوزيعهم في البلاد. ومن أسف أن الاحتلال وأذنابه هم الذين فتحوا ذلك الملف وعبثوا به حتى قدموا الطائفة على المواطنة, وهو ما أكرهنا على الخوض في الموضوع ومحاولة استجلاء حقائقه, التي في مقدمتها ما يلي:

1-أنه لا يوجد في تاريخ العراق إحصاء طائفي من أي نوع, وكل ما يقال في هذا الصدد هو مقاربات واجتهادات لا تستند إلى جهد إحصائي حقيقي, وكثيراً ما تكون متأثرة بالهوى السياسي أو الحسابات الطائفية, وفي غياب ذلك الإحصاء فإن كل فئة بالغت كثيراً في تصور حجمها وقللت من وزن الفئات الأخرى, آية ذلك مثلاً أن مدينة الثورة أو "الصدر" التي تعيش فيها كتلة سكانية شيعية, كان يشاع دائماً أن سكانها أكثر من مليوني نسمة, في حين أن بطاقات التموين التي صدرت في عام 96 في وقت الحصار وحصرت بدقة كبيرة عدد أفراد كل أسرة تعيش في العراق بينت أن الذين يعيشون فيها لا يزيدون على 900 ألف شخص.

2-أن التهوين من شأن الوجود السني في العراق يمثل تغليطاً آخر مشكوكاً في دوافعه. ناهيك عن أنه يتجاهل أن العراق بلد ظل سنياً على مدار تاريخه, وأن التشيع طرأ عليه في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر. من ثم فليس صحيحاً أن نسبتهم 25% كما تقول الموسوعة البريطانية, ولا هي 13 أو 18% كما زعم آخرون (انظر ما كتبه في صحيفة الحياة اللندنية كل من نجم والي وسامي شورش في 24 و 25/11). غير أن عقلاء الباحثين من الشيعة وغيرهم يتحدثون عن نسبة تتراوح بين 45 و 58% للسنة, شاملة الأكراد والتركمان بطبيعة الحال. وفي الوقت ذاته فثمة دراسة أخيرة أعدها باحث عراقي هو الدكتور طه حامد الدليمي اعتمدت على تحليل نتائج إحصاء المذكورين في البطاقات التموينية المسجلين في عام 96 ارتفعت بنسبة أهل السنة إلى ما بين 52 و 54% وفي غيبة تحديد للنسب يطمأن إليه, فلا سبيل إلى نزع فتيل النزاع حولها إلا بالتخلي عن فكرة التمثيل الطائفي والعرقي, وإجراء انتخابات

عامة نزيهة وشفافة, تمكن المجتمع من أن يتولى من خلال التصـويت الحـر اختيار من يمثله بصرف النظر عن هويته الطائفيـة أو العرقيـة, ومـا لـم يتـم التعامل مع ملف التمثيل من هذا الباب, يظل النزاع حـول الحصـص مصـدراً للفتنة وعنصراً مرشحاً للتفجير باستمرار.

3-أن الكلام عـن 3 تجمعـات فـي العـراق, مرشـحة لأن تصـبح قاعـدة لإقامة ثلاث دويلات مستقلة يتسم بالتبسيط المخل, بل وبالجهل الشديد –أو التجاهل المتعمد- لتركيبة المجتمع العراقي, ذلك أن التداخل شـديد وواسـع النطاق بين مختلف المذاهب والأعراق. وفيمـا يتعلـق بالشـيعة والسـنة مثلاً فثمة قبائل كثيرة نصفها سني والآخر شيعي, ومن ثم يتعذر تصنيفها في هـذا الجانب أو ذاك إلا إذا قطعـت أواصـرها, وهـو مـا يسـري علـى قبائـل ربيعـة والجبور وعنيزة وشمر, التي تعد من أكبر وأهم القبائل العراقية, كذلك فـإن الجنوب الذي يتحدث البعض عن تشييعه يضم تجمعات سنية كثيرة, فسـكان البصرة نصفهم من أهل السنة وعشائر المنتنك التي تمثل أكـبر تجمـع قبلـي في الفـرات الأسـفل كلهـا مـن أهـل السـنة, وكـذلك آل سـعدون, وغيرهـم وغيرهم, بل أن مصطلح "المثلـث السـني" لا يخلـو مـن افتعـال لـه أهـدافه السياسية, لأنه لا وجـود حقيقيـاً لمثلـث بهـذا الاسـم علـى ارض الواقـع, ولا تفسير لذلك الافتعال سوى أنه يستهدف الإيحاء بأن سنة العراق فـي جـانب والشيعة في جانب معاكس.

الحضور الإيراني في ترتيبات الملف الأفغاني

كان سقوط حكم حركة طالبان الأفغانية السنيّة في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001 على أيدي الولايات المتحدة فرصة ذهبية للنظام الإيراني خلصته من جاره الذي لم تكن علاقته به على ما يرام, فوجود حكم سني مجاور لإيران الشيعية, لا يدور في الفلك الإيراني, أمر يزعج الإيرانيين كثيراً.

وخلال حرب الولايات المتحدة على أفغانستان, كان لإيران الدور البارز في محاربة طالبان ودعم تحالف الشمال (خليط من الشيعة والشيوعيين.....) المناوئ لها, والتغاضي عن التحركات الجوية الأمريكية فوق الأراضي الإيرانية, وتقديم المساعدات الطبية للجرحى الأمريكان في حال إسقاط طائراتهم فوق إيران, الأمر الذي حدا بأحد الدبلوماسيين الأوربيين في طهران التعليق على التعاون الإيراني مع المخطط الأمريكي في أفغانستان بقوله: (إنهم يتعاونون, لكنهم لا يحبون إظهار ذلك لئلا تتأثر مكانتهم في العالم الإسلامي).

وبالإضافة إلى التخلص من طالبان, كان لإيران أهداف أخرى دينية وسياسية واقتصادية وتاريخية, لا تنفصل عن بعضها البعض.

فإيران كانت تسعى إلى تقوية نفوذ الأقلية الشيعية في أفغانستان المعروفة بالهزارة, والسعي إلى نشر المذهب الشيعي هناك, وهو الأمر الذي لم يكن متاحاً أيام طالبان, لكنه صار متاحاً في أفغانستان اليوم.

وبالرغم من تحقيق الأمنية الإيرانية بسقوط حركة طالبان, إلا أن الأماني الإيرانية لم تتوقف عند هذا الحد, فالملف الأفغاني ما يزال حاضراً بقوة في الأدبيات الإيرانية, خاصة وأن الحكم الجديد في أفغانستان أعلى من شأن الشيعة, وتودد إلى إيران.

وفي حين أن بعض أهداف التواجد الإيراني في أفغانستان داخلية, إلا أن البعد الإقليمي أيضاً حاضر بقوة, حيث تهدف إيران إلى تقويض وتهميش جارتها السنيّة باكستان, الأمر الذي يجعل إيران تتلهف لإقامة علاقات قوية مع الهند, وهي الدولة غير المسلمة والمعادية للمسلمين, وفي نفس الوقت العدو اللدود لباكستان. والطريق الإيراني لإقامة حلف مع الهند والوصول إلى جمهوريات آسيا الوسطى يمر عبر أفغانستان.

محمد عبد الله محمد يحاول في مقالة له في صحيفة الوسط البحرينية التي يملكها منصور نجل رجل الدين الشيعي عبد الأمير الجمري, يحاول بيان بعض الأسباب الاقتصادية والجغرافية التي تجعل إيران تبدي اهتماماً كبيراً بالتواجد في أفغانستان, فيقول:

الوسط البحرينية

محمد عبد الله محمد (كاتب بحريني)

أسباب الاهتمام الإيراني بأفغانستان:

1- يشكل نهر هلمند "1295 كم" وروافده الكثيرة والذي ينبع من منطقة بهسود الهزارة ليصب في إيران مسألة مهمة جدا للمناطق الزراعية والتنموية للحدود الإيرانية الغربية وخصوصا فيما يخص العمل على ترميم طريق هرات - إسلام قلعة، وإيجاد جسر على نهر هلمند وفتح ميناء جديد بالتعاون مع الهند لنقل البضائع إلى الأسواق الأفغانية من ميناء بندر عباس الإيراني بدلا عن ميناء كراتشي الباكستاني .

وكذلك العمل على بناء طريق يربط إيران بأوزبكستان وطاجيكستان عبر الشمال الأفغاني، يضاف إلى كل ذلك فإن الأرض الأفغانية لاتزال بكرا من ناحية الطبيعة الجغرافية والاقتصادية والتجارية، فالأراضي الزراعية المزروعة لا تتجاوز 22% من مجمل الأراضي الصالحة للزراعة، كما أن أرض أفغانستان غنية بخمسين نوعا من المعادن كالحديد "بها أكبر مخزون من الحديد النادر في العالم يبلغ أكثر من مليوني طن منها 63% حديد خالص" والنحاس والفحم والرصاص والذهب والكروم والأمنيوم والفضة والجير والرخام والياقوت، وبالتالي تصبح السوق الأفغانية مكانا خصبا لأي مشروعات اقتصادية وتنموية وخصوصا ما يتعلق بالوكالات والوساطات التجارية .

لذلك فقد جاء إعلان الحكومة الأفغانية عن برنامج شامل لإعادة إعمار البلد على ستة محاور أساسية هي التعليم والصحة والمواصلات والري والتنمية الريفية وبناء المؤسسات الحكومية فرصة تاريخية للنفوذ التجاري والسياسي الإيراني في أفغانستان, إذ قامت الشركات الإيرانية بإنشاء طريق دوغارون هرات وتأهيل شبكه الكهرباء لمدينه هرات، كما بدأت تدريب قوات الأمن والدفاع وهو ما عرضه شمخاني (وزير الدفاع الإيراني) على وزير الدفاع الأفغاني الجنرال قاسم فهيم .

2- تعاني إيران كثيرا من تجارة المخدرات القادمة من حدودها الغربية عن طريق عصابات تهريب مسلحة تنشط على طول الحدود الممتدة بطول 850 كم مربعا، إذ ان خريطة الإنتاج والتوزيع مقسمة على محورين: **الأول:** الإنتاج وقلاعه في المثلث الذهبي الذي يتألف من لاغوس وتايلند وكمبوديا ثم المنطقة التي اشتهرت بالهلال الذهبي في باكستان وأفغانستان **والمحور الثاني** يتركز في التوزيع، أي نقل الإنتاج إلى مراكز الاستهلاك وأسواقه الرئيسية، وهي الولايات المتحدة الأميركية ودول أوروبا الغربية التي يصلها 90 في المئة من المواد المخدرة، علما بأن أميركا وحدها تستهلك 80 في المئة من الإنتاج العالمي من الكوكايين ويأتيها عبر كمبوديا.

وفي أفغانستان يبلغ إنتاج الترياك والأفيون 2000 طن سنويا "بلغ إنتاج الأفيون العام 2002 أكثر من 3400 طن" وأمام تلك الخريطة الجغرافية الخطيرة لتهريب المخدرات باتت تلك التجارة تمثل تهديدا جديا للأمن

القومي الإيراني ولمئات الآلاف من الشباب الإيراني[1] الذين تورطوا في عمليات إدمان قاتلة وخصوصا في المحافظات المتاخمة للحدود مع أفغانستان "إقليم خراسان"

3- انتبهت إيران إلى أن المستطيل الجغراسي من طوروس إلى المحيط الهندي الذي تشكل أفغانستان خاصرته الجنوبية الشرقية هو مفتاح آسيا ويتضمن مواقع تاريخية ودينية واقتصادية واستراتيجية مهمة، وقد قال شاعر باكستان الكبير محمد إقبال: "آسيا جسد من طين وماء، أفغانستان قلبه، من صلاحه تصلح آسيا كلها، ومن فساده فساد آسيا" وهي مقولة تستحق التمعن والقراءة، وأعتقد أن الإيرانيين قرأوها جيدا وخصوصا أنهم يتطلعون إلى مد ذراعهم نحو شبه القارة الهندية صاحبة الرقعة الجغرافية الضخمة "3.3 ملايين كم 2" وثاني أكبر تعداد للسكان في العالم بعد الصين "1.1 مليون إنسان" وثالث أكبر اقتصاد في آسيا لإيصال الغاز المسال إليها وكذا بغرض الاستقواء بها لرفض الوجود الأميركي في منطقة الخليج بسبب تخوف الهند من أن ذلك الوجود قد يقلص حرية حركتها، وأن أي صراع قد ينشب في غرب آسيا وتشترك فيه قوى دولية عدة قد ينعكس سلبا على مصالحها وهو ما يتوافق مع سياسة إيران الخارجية ومخاوفها الأمنية، كما أن طهران تطمح إلى جعل الهند مصدرا مهم ا للتكنولوجيا العسكرية وتكنولوجيا المعلومات الكمبيوترية الرائجة لدى الهنود، وهو ما يحتاج إلى تأمين ممرات وطرق وأجواء يمكن الوثوق بها من قبل رؤوس الأموال وكانت الهند ساعدت إيران على إعادة برمجة الغواصات الروسية الثلاث "التي قامت إيران بشرائها من روسيا" على نظام السير في المياه الدافئة.

كما أن تقريب التعاون الهندي الإيراني جغرافيا سيساعد على ترتيب الملف الأفغاني بما يتوافق وأجندة دول جنوب شرق القارة الآسيوية، وهو ما رأيناه جليا في ندوة إعمار أفغانستان التي نظمتها الخارجية الإيرانية إذ كان الحضور الهندي واضحا وبجلاء أكثر من أية دولة أخرى .

كما أن الإيرانيين باتوا يعتمدون بشكل استراتيجي على دول جنوب شرق آسيا ككتل نشطة في السياسة الدولية، وبالتالي فإن الاعتماد عليها في التوازنات الإقليمية له ما يبرره، وخصوصا في ظل تنافر إيراني أميركي صاعد، يضاف إلى كل ذلك أن التقارب يأتي في ظل قناعة إيرانية راسخة بأن التوجه شرقا "في عمق القارة الآسيوية" هو سياسة استراتيجية لإيران فمعدلات النمو الاقتصادي المتصاعدة في الصين والهند وفي منطقة جنوب شرق القارة وتحديدا النمور الآسيوية تعطي مؤشرات جيدة لأي شراكة اقتصادية مستقبلية، وأن القارة القديمة تمتلك م ا لا يمتلكه الآخرون من مساحة هائلة تصلح لأن تكون مرتعا تجاريا محوريا لإيران وهي بالإضافة إلى كل ذلك تعتبر منبعا وافرا للعمالة الرخيصة، وخصوصا أن الهند تستورد أكثر من 70 في المئة من احتياجات مصافيها التي يمكنها معالجة 3.2 ملايين برميل يوميا ويأتي ثلثا تلك الواردات من منطقة "الشرق الأوسط".

---

[1] ( ) ذكرت وكالة الصحافة الفرنسية أن عدد المدمنين على المخدرات في إيران يبلغ 2.5 مليون شخص في جميع أنحاء إيران.

كما أن إيران تحاول أن تلعب دورا مـا عـبر تلـك المسـالك "الأفغانيـة والباكستانية" والهنود يـدركون ذلـك جيـدا، فـإيران وباكسـتان وأفغانسـتان دول مسلمة ولها مصالح مشـتركة وتـداخل إثنـي وعرقـي كـبير، فالشـيعة الباكستانيون يمثلون أكثر من 20 في المئة من السكان أي ما يعــادل 28. 3 مليون نسمة، وفي باكستان أكثر من 12 مليون مـن البلوشسـتان وهـم من أصول إيرانية ويشكلون 8.5 في المئـة مـن تعـداد السـكان، والأفغـان يتكلمون الفارسية والتداخل البشتوني والطاجيكي مع حدود إيران الغربيــة واضح بجلاء, لذلك فإن الهنـد تعـول علـى إيـران فـي لعـب دور مهـم فـي الصراع بينها وبين باكستان وكـذا الأمـر بالنسـبة إلـى دول آسـيا الوسـطى وروسيا.

الراصد

دراسات

التجمعات الشيعية في العالم العربي
الكويت

مقدمة:

المتتبع لوضع التجمعات الشيعية في الكويت يلمس ملامح مشتركة مع دول الخليج الأخرى التي سبق الحديث عنها: فالأصل الشيعي في هذه الدولة يعود إلى حكم القرامطة لشرق الجزيرة العربية, ومن ضمنها الكويت.

كما أن انتشارهم وكثرة أعدادهم في العصور الحديثة كان نتيجة مخطط مدروس, لعبت فيه الهجرة الإيرانية إلى الكويت دوراً بارزاً في أن يصبح شيعة الكويت حوالي خُمس سكانها, وهو الأمر الذي تم تنفيذه في إمارات ودول الخليج الأخرى, وإن كان بنسب متفاوتة.

وقد ساعدت مجموعة من الظروف الداخلية والإقليمية والدولية شيعة الكويت في زيادة نفوذهم, وهو الأمر الذي نحذر منه, وندعو المخلصين من

أهل السنة إلى الحذر ومعرفة دوافع الشيعة وأهدافهم[1] .

[1]( ) وذلك أن من عقائد الشيعة الانفصال عن بقية المسلمين واعتبارهم أعداء معتدين على آل البيت والشيعة لذلك تحاول أن تكون على شكل تجمعات صغيرة غير مندمجة مع الآخرين, وتسعى للوصول إلى مراكز السلطة والقوة وترتبط بالمرجعية الدينية أكثر من ارتباطها بالدولة التي هي فيها كما هو معروف عنهم.

دخول التشيع إلى الكويت وانتشاره:

تعتبر الكويت امتداداً طبيعياً للساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية, وكانت المنطقة الممتدة من مسقط إلى البصرة ومن ضمنها الكويت يطلق عليها "البحرين" قديماً, ويرجع الوجود الشيعي في هذه المنطقة إلى دولة القرامطة, وهم من الشيعة الإسماعيلية, وقد استولى الشيعة القرامطة على هذه المنطقة أواخر القرن الثالث الهجري حتى سنة 467هـ أثناء الحكم العباسي.

وكان القضاء عليهم زمن السلاجقة الذين استعان بهم عبد الله بن علي

الراصد

العيوني, وأسس دولته على أنقاضها[1] .

وفي العصور الحديثة لعبت الهجرة من إيران دوراً كبيراً في زيادة عدد الشيعة في الكويت, وكانت هذه الهجرة المنظمة والكثيفة تهدف إلى الاستفادة من الرخاء المأمول بسبب اكتشاف النفط, إضافة إلى رغبة إيران في تشكيل تجمعات شيعية كبيرة في دول الخليج, تسهّل على إيران المطالبة بهذه المناطق وادّعاء ملكيتها لها, كما حدث في جزر الإمارات الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى التي احتلتها إيران سنة 1971 وأعادت احتلالها سنة 1992, وكما حدث أيضاً في المطالبة الإيرانية المستمرة بدولة البحرين.

وبالرغم من عدم وجود إحصاء رسمي يبين عدد الشيعة في الكويت, إلا أنه يتردد في الكويت أنهم بحدود 10% من مجموع السكان, وإن عدداً من المصادر يشير إلى أن نسبتهم تقارب 20%[2]– , ويتركز معظمهم في مدينة الكويت والمناطق المجاورة لها.

ونصف هؤلاء الشيعة هم من أصول عربية, والنصف الآخر من أصول إيرانية وفدت إلى الكويت وإلى دول خليجية أخرى في القرون الثلاثة الماضية, معظمهم اكتسب جنسية هذه البلاد, وما يزال يحتفظ بكثير من عناصر الثقافة الفارسية, بما في ذلك اللغة[3] .

أما هجرة الإيرانيين الشيعة إلى دول الخليج ومنها الكويت, فجاءت نتيجة جهود منظمة ومدروسة[4] , وقد أشار د. عبد الله الغريب إلى جانب من المخطط الإيراني للسيطرة على الخليج, حيث اعتبر الهجرة إحدى ركائز هذا المخطط[5] .

وتدفق على الكويت, ودول الخليج الأخرى عدد كبير من الأيدي العاملة الإيرانية, كثير منهم جاء بطرق غير مشروعة, وساعدهم في الإقامة التجار الإيرانيون, الذين أصبحوا مواطنين من أهل الخليج, بل ووكلاء وشركاء لأفراد من الأسرة المالكة, وبعضهم تسلل عن طريق البحر, واستفاد العمال الإيرانيون من الفراغ الذي كان يعيش فيه الخليج العربي بعد الحرب العالمية الثانية, إضافة إلى تواطؤ الاستعمار البريطاني مع إيران.

وسعى هؤلاء الإيرانيون إلى التسلل إلى أجهزة الدولة الحساسة, خاصة تلك التي تمنح الجنسية والإقامة, حيث كان شيوخ الخليج يتساهلون في منح الجنسية, وكانت جوازات السفر تباع كأي سلعة[6] .

وقد ذكرت صحيفة الجمهورية العراقية الصادرة بتاريخ 25/5/1971, نقلاً عن صحيفة الخليج الصادرة في الكويت في 24/5/1971 أنّ إحدى

---

[1] ( ) انظر تفاصيل هذه الحقبة في بحث: التجمعات الشيعية في السعودية, المنشور في العدد الرابع من الراصد أو انظر: محمد شاكر, التاريخ الإسلامي, الجزء السابع ص 117-118.

[2] ( ) هموم الأقليات الصادر عن مركز ابن خلدون لسنة 1993 ص 304, وجاء دور المجوس: د. عبد الله الغريب ص 318.

[3] ( ) هموم الأقليات ص 304.

[4] ( ) انظر بحث "التجمعات الشيعية في البحرين" المنشور في العدد الثاني من الراصد.

[5] ( ) وجاء دور المجوس ص 311-313.

الإمـارت العربيـة (دبـي) بـاعت أربعـة آلاف جـواز سـفر مسـتوفية لجميـع الشـروط إلـى إحـدى الـدول المجـاورة المعاديـة للقضـايا العربيـة (إيـران), وقالت إن هذه الخطوة تأتي نتيجـة تعامـل واضـح مـع سـلطات تلـك الـدول لتمهيد غزو بشري خطير للمنطقة لصالح تلك الدولة[1] .

تياراتهم:

يتوزع الشيعة في الكويت بين تيارات عديـدة علمانيـة ودينيـة, فـالقوى العلمانية تميل نوعاً ما إلى جانب الحكومة, وتعـارض سـيطرة رجـال الـدين على العمل الشيعي.

وأما القوى الدينية فيمكن تقسيمها إلى ثلاث تيارات:

1-التيار الإيراني: ويؤمن بولاية الفقيه والمرجعية الإيرانية, وقد برز هذا التيار بعد قيام الثورة الإيرانية سنة 1979م, وممن ينتمـي إليـه النائبـان في البرلمان السابقان عدنان عبد الصمد وعبد المحسن جمال.

2-التيار الشيرازي: وهو الذي يتبع المرجـع محمـد الشـيرازي الـذي أقام في الكويت تسع سنوات (1971-1980) قادمـاً مـن العـراق, وأسـس دعـوة لـه, وأقـام المؤسسـات والهيئـات الشـيعية وكـان نشـيطاً فـي طبـع الكتب[2] , كمـا أنـه اسـتطاع أن يكسـب شـريحة لا بـأس بهـا م ن الكويـتيين لتقليده.

واستطاع في تلك الفترة أن يخترق الجماعة (الشيخية), وأن يستصـدر فتـوى مـن زعيمهـا حسـن الإحقـاقي الأسـكوئي بجـواز تقليـد العلمـاء غيـر الشـيخيين, وأن يفتـح الطريـق بـذلك لكسـب عـدد مـن شـباب (الشـيخية) لتقليده[3] .

وقد استطاع تيـار الشـيرازي أن يسـتحوذ علـى جـزء كـبير مـن العمـل الشيعي, مثل الداعين إلى هيئة الأوقاف الجعفرية.

وينتمي إلى هذا التيار النائب صالح عاشور.

3-الشيخية: وهي فرقة انفصلت عن التيـار العـام للشـيعة الأصـولية, أي عن الاثنى عشرية في القرن التاسع عشر ميلادي علـى يـد الشـيخ أحمـد الأحسائي, حيث أقام أحد شيوخها وهو الميرزا علـي بـن موسـى الأسـكوئي الحائري في الكويت سنيناً, وكان مجموعة من شيعة الكويت يقلـدون والـده موسى بفعل تأثر الكويت وقربهـا مـن العـراق, وكـربلاء خاصـة, حيـث أحـد مقرات هذه الطائفة وإقامة شيوخها.

وكان قد حضر الكويت مرتين في حياة والـده, وبعـد وفـاة والـده صـار علي موسى المرجع العام للعـرب والعجـم مـن الشـيخية, وسـكن الكـويت, وكان يقضي أيام الصيف فـي كـربلاء غالبـاً, أثنـاء وجـوده فـي الكـويت قـام بتأسيس الحسينية الجعفرية والعباسية, وتوسـيع المسـجد الجـامع ومسـجد

---

[6] ( ) وجاء دور المجوس ص 311-317.
[1] ( ) المصدر السابق ص 317.
[2] ( ) انظر ص 10 من هذا البحث.

آخر, وهو أول من بنى مأذنة في الكويت بعد جهد كبير, وأول من سعى في إعلان الشهادة الثالثة (أشهد أن عليّاً ولي الله) على المنابر والمنائر.

وقد توفي في الكويت سنة 1386هـ (1966م), ونقل من الكويت إلى كربلاء, حيث دفن هناك[1] . وإضافة إلى نشاطه في الكويت, فلقد كان له نشاط ملحوظ في الإحساء (شرق السعودية) حيث أسس حسينية الجعفرية والحسينية الحيدرية, وأحيى كثيراً من كتب علماء الشيخية فطبع العديد من مؤلفاتهم.

وبعد وفاة علي خلفه على رئاسة الطائفة حسن بن موسى الإحقافي الاسكوئي الحائري المولود سنة 1318هـ (1900م), حيث انتقل إلى الكويت بعد تشييع جثمان أخيه في كربلاء, وصار هو المرجع المقلّد للشيخية في الكويت, وقد استطاع تأسيس مكتبة عامة هناك, إضافة إلى صناديق إعانة للعرب والعجم[2] .

وفي عهد حسن هذا, استصدر محمد الشيرازي فتوى منه بجواز تقليد الشيخيين للعلماء الشيعة من غير طائفتهم.

وبعد وفاته, استلم مقاليد الطائفة في الكويت ابنه عبد الرسول, حتى وفاته قريباً في 26/11/2003 ودفن في كربلاء وبويع ابنه الميرزا عبد الله الإحقافي من وكلاء والده في الكويت والبحرين والإحساء والقطيف والدمام مرجعاً للطائفة في الكويت, ولهم الكثير من الأنشطة[3] في الكويت منها مجلس العباس, والعديد من الحسينيات.

مظاهر العمل الشيعي في الكويت:

1-الدينية:

أ-المساجد والحسينيات:

للمسجد عند الشيعة شأن آخر, فهو نادٍ وملتقى لهم يعقدون فيه اجتماعاتهم, ومكتبة ودار نشر, وفيه عدة لجان تتولى تنظيم مختلف شؤون المسجد, وتنظيم الاحتفالات والندوات الدينية.

ومن مساجدهم في الكويت: الصحاف والحياك والغضنفري ومراد معرفي والإمام الحسين ومحمد الموسوي والمزيدي وحاج عبد البلوش وحاج أحمد الأستاذ ويوسف بهبهاني وبن نخي في منطقة الشرق, ومن مساجدهم أيضاً: الإمام زين العابدين وعباس ميرزا وسمو الأمير والإمام علي وجعفر بن أبي طالب وإبراهيم القلاف ومقامس والنقي والشيرازي وحسن سيد إبراهيم واشكناني والعمرية والبحارنة وغيرها, وهذه المساجد موجودة في مناطق السالمية والدّعية وبنيد القار والشعب والصليخات وميدان حولي والدّسمة والعمرية, وغيرها.

وهذه المساجد لا تخضع إلى سيطرة وإشراف وزارة الأوقاف كما هو الحال بالنسبة لمساجد السنة, كما أنهم يقيمون المساجد في مناطق السنة رغم قلة تواجدهم في هذه المناطق. وبالرغم من كثرة مساجدهم, إلا أنهم

---

[3] ( ) كتاب الشيرازي لأحمد الكاتب ص 52.

[1] ( ) الشيخية: نشاتها وتطورها ومصادر دراستها –محمد حسن الطالقاني ص 199-200.

[2] ( ) المصدر السابق ص 201-202.

دائمو السعي لمساجد جديدة[1] .

ومع ذلك فإن هذه المساجد لم تشبع طموحهم, فعمدوا إلى بناء الحسينيات على شكل قلاع وفيها سراديب, وهم أحياناً يشيدون البناء قبل أن يأخذوا الرخص.

ومن حسينياتهم:

ناصر الرس وحجي حسين وجاسم الصراف وأحمد بن نعمة وعبد الله السماك وملا علي الأمير وإبراهيم سيد حسن وحسين عبد الله علي ورازيه درويش وحسيب العليان في منطقة الدّعية, وحجي أحمد تمال وأحمد حسن عاشور وسيد محمد الحسين ومحمد الأربش وعمران سيد وحجي علي حسين ومجيد عباس وطيبة سيد حسن وعلوية بيبي رباب في منطقة بنيد القار, وإبراهيم جمال الدين وعلي الشواف في ضاحية عبد الله السالم, والياسين والعباسية وعباس المطوع وعون المطوع ومحمد الأربش والهزيم وملايه زهرة وخليل فردان والشموم وعبد المحسن الحرز في منطقة المنصورية, وناصر عبد الوهاب حجي والحسينية العراقية وحسن القطان ومسجد بهشق ومسجد ششتري وبن نخي والعتبات ومرتضى سيد مرتضى ومعرفي وعسكر زمان وعباس مكي طه وأحمد علي والخزعلية والجعفرية والهندية ومحمد عبد الله الجزاف في منطقة الشرق.

ومن حسينياتهم أيضاً: محمد يوسف حجي وأبو الحسن جمال وحجي ضحي وأحمد حسن مهدي ومحيسن فهد النجدي وضيف حسن أحمد وعثمان علي السيد وعبد الله علي وإبراهيم ملا حسن وعلي حسن مشاري وإسماعيل سرور إسماعيل وصبحي حسين في منطقة الصليبيخات وعباس عبد الله في الشامية, ومحمد الشيرازي في منطقة سلوى, والكربلائية ومجلس العباس وغيرها الكثير في مناطق مختلفة من الكويت.

وفي معظم مساجد وحسينيات الشيعة في الكويت مكتبات تنشر وتوزع كتيبات ورسائل مجانية, وفيها غرف يسكنها الشيعة الوافدون إلى الكويت[2] .

ب- المحاضرات والمآتم والاحتفالات:

يستغل الشيعة المساجد والحسينيات والديوانيات لإقامة ندواتهم ومحاضراتهم ومآتمهم وشعائرهم والتعبير عن آرائهم, التي غالباً ما تأتي مخالفة لعقائد المسلمين, ولا يجد الشيعة حرجاً من المجاهرة بها, ومن ذلك:

-احتفال بذكرى الإسراء والمعراج سنة 1423 في مسجد زين العابدين, بمشاركة أبي القاسم الديباجي.

-محاضرة في الحسينية الكربلائية بذكرى استشهاد أبي الفضل العباس في 21/3/2003.

-الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم (21/5/2003) في

[3] ( ) انظر جانباً من نشاط الشيخية في الكويت: الوطن الكويتية 25/2/2002, 22/5/2003.

[1] ( ) د. عبد الله الغريب, وجاء دور المجوس ص 320-322.

حسينية محمد الشيرازي في منطقة سلوى برعاية الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقافي الذي قام خلال الاحتفال بتعميم ثلاثة من رجال الدين وهم: علي الموسى وعبد الله العشوان, ونور الدين العبد الله.

-مهرجان بذكرى استشهاد الإمام الباقر (24/2/2002) في مجلس العباس بمنطقة المنصورية, برعاية الميرزا الإحقافي, وتحدث في الاحتفال: محمد جبريل وليث الموسوى, كما أقيم احتفال مماثل في حسينية محمد الشيرازي في منطقة سلوى, وتحدّث فيه مسلم سيد فاخر.

-محاضرة في ذكرى استشهاد الإمام زين العابدين (10/4/2002) ألقاها محسن الجمري من البحرين.

-إقامة مجالس العزاء لوفاة المرجع محمد الشيرازي في عدد كبير من الحسينيات التي تتبع مرجعية الشيرازي مثل العقيلة زينب وأم البنين وأم صادق والبتول وملاية زينب الصراف والصديقة الطاهرة والقائم والسيدة خديجة والحوراء وسيد هاشم والإمام العسكري ومنتدى القرآن الكريم والسيدة سكينة وأم سليمان وأم الأئمة وحسينية بو حمد والزينبية ومؤسسة الصديقة الطاهرة.

-إقامة شعائر عاشوراء في جميع مساجد وحسينيات الشيعة في الكويت, ومطالبتهم لتلفزيون الكويت والإذاعة بنقل هذه الشعائر على الهواء مباشرة.

-محاضرة لرئيسة مؤسسة السيدة خديجة لائقة معرفي (22/9/2001) ضمن الاحتفال بيوم المرأة العالمي, وأقيمت في حسينية الرسول الأعظم الكربلائية, وتطرقت فيها إلى قصة أرض فدك, التي يستغلها الشيعة للطعن في أبي بكر الصديق رضي الله عنه واتهامه بأنه اغتصب أرض السيدة فاطمة رضي الله عنها, بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

جـ- الوقف الجعفري:

سعى الشيعة بكل جهدهم إلى إنشاء هيئة للأوقاف الجعفرية الشيعية, يثبتون من خلالها وجودهم ومذهبهم, وينمّون مواردهم المالية, وكانوا يحرصون على أن تكون هذه الهيئة مستقلة عن وزارة الأوقاف وعن الأجهزة الحكومية, بل وطالبوا بأن تكون تحت إشراف مراجع وعلماء مذهبهم كونهم ينوبون عن الإمام الغائب!

وقد سبب مشروع هذا القانون خلافاً بين التيارات الشيعية المختلفة, فمن قائل أن الإشراف على الأوقاف وإدارتها هما من صلاحيات المرجع الديني إلى مجيز بأن تتولى لجنة من غير المراجع إدارة هذه الأوقاف.

وخلال عامي 2001 و 2002 كان الشيعة يعملون بكل جهد من أجل إنشاء هذه الهيئة, وبالرغم من قيام الحكومة الكويتية بإنشاء وحدة للأوقاف الجعفرية تتبع وزارة الأوقاف يكون أعضاؤها من الشيعة, إلا أن الشيعة وقادتهم أعربوا في تصريحاتهم المتكررة أن هذا القرار لا يلبي طموحاتهم, ذلك أنهم يريدون هيئة مستقلة عن الأوقاف والحكومة, وفي أحسن الأحوال

---

[2] ( ) المصدر السابق ص 323-327.

تتبع الديوان الأميري.[1] وقد أعلن الشيخ أحمد حسين محمد نائب الأمين العام لتجمع علماء المسلمين الشيعة أن هذه الهيئة سترى النور قريباً بعد مخاطبة وزارة الأوقاف لديوان الخدمة المدنية لتحديد الهيكل التنظيمي للإدارة الجديدة[2] .

د- المطبوعات:

يقوم شيعة الكويت بجهد كبير لنشر عقائد الشيعة من خلال كافة الوسائل كالكتب والأشرطة والمجلات والنشرات والرسائل, ومن خلال توفير هذه المواد في مساجدهم ومنتدياتهم وحسينياتهم بل وتوزيع بعضها مجاناً على المنازل وهم يقومون بذلك غير آبهين بمخالفة محتويات هذه المواد لعقائد المسلمين في الكويت, ومن ذلك:

-طباعة مجلة المنبر, وهي مجلة تصدر من الكويت, وكُتب عليها بأنها تصدر من لبنان للتمويه, وهذه المجلة التي يصدرها أتباع الشيرازي تخصصت في التطاول على صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته الطاهرات, وبالرغم من توفر هذه المجلة في الكويت, إلا أن وكيل وزارة الإعلام في الكويت يصرح بأن الوزارة لم تسمح لهذه المجلة بالصدور أو الطباعة داخل الكويت.

-توزيع نشرة جامعة لفتاوى الشيرازي مجاناً, والراغب بالحصول على هذه النشرة يستطيع الحصول عليها بمجرد الاتصال فقط, وتصدرها مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام.

-ولهم مكتبة الثقلين ودار التوحيد للنشر.

هـ- تأسيس تجمع لعلماء الشيعة:

يرأسه محمد باقر المهري, يصدر بيانات باستمرار حول مختلف القضايا الداخلية والخارجية, ويتظاهر بالحرص على وحدة الصف السني والشيعي, والمهري هذا يشرف على مسجد الإمام علي في منطقة العمرية. وبالرغم من كون التجمع غير مرخص إلا أنه أشبه بفرض للأمر الواقع, والحكومة تتغاضى عن هذا المجلس.

و- توسيع دائرة المطالب:

يتبع الشيعة أسلوب "الخطوة خطوة", ففيما سبق كانوا يكتفون بالمطالبة بإنشاء المساجد ثم اتسعت الدائرة لتشمل الحسينيات والجمعيات الثقافية والاجتماعية والمبرات, وقد نجحوا في كثير من مساعيهم.

ومع مرور الزمن وازدياد نفوذهم, وتواجدهم في المؤسسات المختلفة, اتسعت دائرة مطالبهم, فهي تشمل الآن المطالبة بأن يكون يوم عاشوراء عطلة رسمية, ونقل شعائرهم في وسائل الإعلام الكويتية على الهواء مباشرة, وقد نجحوا في المطلب الثاني, حيث أصبح التلفزيون الكويتي ينقل هذه الشعائر مباشرة, ويبدو أنهم على وشك تحقيق المطلب الأول, حيث أوصت اللجنة الاقتصادية في مجلس الأمة باعتبار يوم عاشوراء

[1] ( ) الوكالة الشيعية للأنباء - 21/9/2002.
[2] ( ) المصدر السابق – 29/11/2003م.

عطلة رسمية.

ومن مطالبهم الآخذة بالتعاظم: السماح بطباعة كتبهم ومنشوراتهم, ومنع الكتب التي تتعرض لهم أو تبين عقائدهم, فقد كان لهم دور في منع كتاب (لله ثم للتاريخ) وهو من أهم الكتب الحديثة التي تبين عقائدهم, وأشادوا بقرار وزير الإعلام –آنذاك- أحمد فهد الأحمد بمنع تداوله.

ومن مطالباتهم: الوقوف ضد مشروع قانون العقوبات الشرعية الذي تقدم به بعض النواب الإسلاميين السنة, واعتبار علمائهم أنه غير قابل للتطبيق, بسبب خشيتهم من تطبيق القانون على المذهب السني.

ومحاولة اختراق إذاعة القرآن الكريم, واستبعاد برامج ومحاضرات العلماء السلفيين, وبخاصة من المملكة العربية السعودية.

ومنها تطاولهم العلني على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم, ومن أبرز من قاموا بذلك النائب صالح عاشور الذي تهجم على الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وطالب عاشور بتغيير اسم أحد شوارع الكويت يحمل اسم المغيرة, واعتبر ذلك حقاً للشيعة بالإضافة لمطالبته بإنشاء محكمة جعفرية, وإنشاء المزيد من المساجد الشيعية, وتعديل مناهج التربية الإسلامية لتتوافق مع عقائدهم.

وتبلغ هذه المطالب حداً غير معقول, إذ أفتى أمين عام تجمع علماء الشيعة في الكويت محمد باقر المهري بعدم جواز التعامل مع إحدى الجمعيات التعاونية (جمعية القرين) أو الشراء منها لأنها قامت بطباعة كتاب يثني على الصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

كما أنهم اعترضوا على المطالبة بإغلاق الحسينيات غير المرخصة التي تملأ الكويت, ردّاً على الذين طالبوا بإغلاقها أسوة بفروع لجان الزكاة والجمعيات الخيرية التي تتبع الجمعيات السنية مثل الإصلاح وإحياء التراث.

2-التربوية والثقافية:

يحرص الشيعة على إنشاء المؤسسات الثقافية والتربوية –إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً- والتواجد في الهيئات المختلفة, ونشر فكرهم من خلالها, ومن ذلك:

-إنشاء جامعة أهل البيت (على الانترنت) من قبل بعض الجامعيين من الكويت والعراق وتدريس الشريعة والاقتصاد والتربية ... الخ, وتسعى من خلال هذه الجامعة لنشر الفكر الشيعي بين أوساط الجاليات المسلمة في

الغرب, التي يناسبها هذا النوع من التعليم عن بعد[1].

-إنشاء قائمة طلابية في جامعة الكويت باسم (قائمة الحب والحياة) تعمل على تنظيم الطلاب الشيعة واستقطاب الطلاب السنة, وتجاهر القائمة بأفكار الشيعة, وقد تم منعها من المشاركة في انتخابات الهيئة الإدارية للاتحاد الوطني لطلبة الكويت التي جرت في شهر أكتوبر (تشرين الأول) 2002, بسبب تطاولهم على الصحابة الكرام, ونشرهم للأفكار المنحرفة في صفوف الطلاب[2] . وهذه القائمة ليست الوحيدة, إذ أن هناك قوائم وتجمعات طلابية شيعية أخرى.

-ولهم مدارس عديدة مثل مدرسة التوحيد والمدرسة الجعفرية.

-إطلاق أسماء شخصياتهم على المؤسسات التعليمية مثل صدور قرار وزارة التربية بإطلاق اسم (سيد محمد الموسوي) وهو مدير سابق للمدرسة الجعفرية الوطنية على إحدى المدارس, وعلى الفور وجّه النائب الشيعي صالح عاشور الشكر لوزير التربية على هذه الخطوة[3] .

وإن الحديث عن الأنشطة التربوية والثقافية للشيعة في الكويت يرتبط ارتباطاً كبيراً بالمرجع الشيعي الإيراني الأصل محمد الشيرازي الذي وصل إلى الكويت سنة 1971 بعد اشتداد الضغوط عليه في العراق, حيث أسس مسجداً وديوانية ومكتبة ومدرسة باسم (الرسول الأعظم), وبدأ يستقبل طلبته الهاربين من العراق.

وكان الشيرازي فترة وجوده في العراق (حيث نسبة الشيعة هناك كبيرة) يطمح إلى أن يصبح يوماً ما المرجع الأعلى ويؤسس دولة (ولاية الفقيه), لكنه عندما جاء إلى الكويت وجد أن تلك الدولة الصغيرة التي يشكل فيها الشيعة أقلية لا تؤهله للقيام سوى بالنشاطات الثقافية, وهو ما تفرغ له, حيث أصدر (رسالة المساجد والحسينيات) ودعا فيها إلى الإكثار من بناء المساجد والحسينيات, لإقامة صلاة الجماعة والوعظ والرثاء والاحتفالات الشيعية, كما دعا إلى تأسيس المكتبات وإصدار النشرات والدعاء والزيارة والدروس والتأليف وإقامة الفواتح والإطعام وجمع المال وعقد المؤتمرات.

وألّف سنة 1392هـ في الكويت كتاب (نحو يقظة إسلامية) دعا فيه أصدقاءه ومؤيديه إلى:

1-تأسيس منظمة للدفاع عن المضطهدين والمهجرين في العالم.

2-التهيؤ الكامل للسلطة والتسلح بأفضل الأسلحة والتدرب عليها.

3-جمع المال وتكوين المصارف الإسلامية.

4-الاهتمام بالإعلام والدعاية والنشر.

5-التشجيع على طلب العلوم الدينية.

6-تكوين منظمات خاصة للشباب والنساء.

---

[1] ( ) اللواء الأردنية 25/4/2001.

[2] ( ) الوكالة الشيعية للأنباء 25/9 + 6/10/2002.

[3] ( ) المصدر السابق 9/5/2003.

واهتم الشيرازي في الكويت بنشر المذهب الإمامي الاثنى عشري, عن طريق طبع ونشر أكثر من مائة ألف نسخة من كتاب (المراجعات) لعبد الحسين شرف الدين.

واستطاع خلال السنوات التسع التي أمضاها في الكويت أن يكسب شريحة لا بأس بها من الكويتيين لتقليده, كما أنه استطاع أن يمد دائرة تقليده إلى البحرين والسعودية.[1]

3-الاجتماعية والاقتصادية:

-إنشاء مبرّة أهل البيت, التي يرأسها النائب صالح عاشور.

-إنشاء مبرّة دشتي الخيرية في شهر مايو (آيار) 2002.

وأما الأنشطة الاقتصادية فعديدة ومتنوعة, حيث الكثير من الشيعة من التجار ورجال الأعمال الذين يدعمون أنشطة طائفتهم, وقد ساعدهم في تبوء هذه المكانة الاقتصادية الهامّة مشاركتهم لبعض شيوخ آل الصباح في أعمالهم التجارية, وبرزت من الشيعة عائلات اقتصادية كبيرة منها: بهبهاني وقبازرد والكاظمي والهزيم وبهمن وبوشهري والوزان والمزيدي ومقامس ومكي ودشتي والصراف والنقي...الخ.

كما انهم ومنذ فترة طويلة يسيطرون على قطاعات اقتصادية هامة عديدة منها: المواد الغذائية والسجاد والذهب والمخابز.

4-السياسية:

للشيعة في الكويت نشاط سياسي ملحوظ وتواجد في مؤسساتهم الحكم المختلفة:

أ-مجلس الأمة: أجريت أول انتخابات لاختيار أول مجلس أمة للبلاد في 23/1/1963, وقانون الانتخابات في الكويت لا يحدد مقاعد للأقلية الشيعية, إنما يترك جميع المقاعد للمنافسة, وقد أولى الشيعة مجلس الأمة اهتماماً كبيراً وحرصوا على التواجد فيه منذ بداياته, وعملوا على تعزيز تواجدهم في المناطق التي يكثرون بها مثل الشرق والدسمة وبنيد القار, ومحاولة التواجد في مناطق أخرى مثل الرميثية وميدان حولي وسلوى والصليبخات والجابرية, حتى صارت بعض الدوائر حكراً عليهم.

وفي الانتخابات النيابية الأخيرة التي أجريت في شهر يوليو (تموز) 2003م فاز النواب الشيعة الآتية أسماؤهم: صالح عاشور ويوسف زلزلة في الدائرة الأولى, وحسن جوهر في الدائرة الثامنة وحسين القلاف وصلاح خورشيد في الدائرة الثالثة عشرة.

وفي المجلس السابق الذي تم انتخابه سنة 1999, كان للشيعة عدد من النواب هم: عدنان عبد الصمد, عبد المحسن جم ال, حسين القلاف, صالح عاشور, حسن جوهر.

مع العلم أن الدوائر الانتخابية عددها 25 دائرة, ينتخب من كل دائرة اثنين, فيكون عدد أعضاء المجلس 50 نائباً.

---

[1] ( ) الشيرازي: المرجعية في مواجهة تحديات التطور – تأليف أحمد الكاتب ص 51-52.

وداخل المجلس, يتبنى النواب الشيعة مطالب طائفتهم, ويتقربون من بعض النواب السنة, ويشكلون معهم تنظيمات مشتركة, مثل تجمع (نواب التكتل الشعبي) الذي شكّله الشيعة مثل عدنان عبد الصمد وحسين القلاف وحسن جوهر وعبد المحسن جمال مع بعض المستقلين.

ب-مجلس الوزراء: جرت العادة على أن يكون في كل حكومة كويتية وزير شيعي, عادة ما يحرص هذا الوزير على صبغ الوزارة بالصبغة الشيعية, والحكومة الحالية التي شكلها الشيخ صباح الأحمد سنة 2003م, يمثل الشيعة فيها محمد أبو الحسن وزير الإعلام, الذي بدأ عهده بإزالة صور الحرمين الشريفين من الآذان الذي يبثه تلفزيون الكويت وإحكام القبضة على المطبوعات التي تنتقد الشيعة وتعيين بعض الشيعة كمدراء في الوزارة, وبث برنامج لمصطفى الزلزلة, شقيق النائب الشيعي يوسف الزلزلة.

وفي الحكومات السابقة, برزت أسماء مثل: صلاح خورشيد وعبد الوهاب الوزان وعيسى المزيدي وعبد العزيز محمد بوشهري, وفي حقبة أكثر قدماً كان الوزير الشيعي هو عبد المطلب الكاظمي, الذي كان وزيراً للنفط, وما ترك الوزارة إلا بعد أن طبّعها بطابع طائفته, فجاء بشيعي ليكون أحد وكلاء الوزارة, ووضع على رأس شركة النفط أحد الشيعة إضافة إلى رؤساء الإدارات وكبار المديرين[1] .

جـ- التجمعات والتنظيمات: تمنع الكويت شأنها شأن بقية دول الخليج إنشاء الأحزاب السياسية, لذلك تقوم بعض التنظيمات تحت مسميات (تكتل – تحالف – تجمع) وتدخل الانتخابات النيابية تحت هذه الأوصاف.

وللشيعة تنظيم تحت اسم (التحالف الإسلامي الوطني) الذي حلّ بديلاً عن الائتلاف الإسلامي الوطني الذي جرى تجميده سنة 1998, وقد طرح مرشحين عديدين لانتخابات 1999 و2003 منهم عدنان عبد الصمد وعبد المحسن جمال وناصر صرخوه, إلا أنه مُني بهزيمة كبيرة في انتخابات 2003[2] .

وهذا التحالف يتبع المرجعية الإيرانية وولاية الفقيه.

وهناك تنظيم شيعي آخر باسم ((حركة أنصار الحرية))[3].

تأثرهم بالمتغيرات الداخلية والدولية:

لم يكن شيعة الكويت بعيدين عمّا يجري في الكويت والعالم, إذ أن المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية انعكست عليهم إيجاباً وساهمت في تعزيز نفوذهم وحسّنت صورتهم, ذلك أن علاقات شيعة الكويت ببلادهم لم تكن معظم الأحيان جيدة, فمنذ اللحظات الأولى لثورة الخميني سنة 1979 توجهت أفئدة الكثيرين من شيعة الكويت نحوها, بل ووجّهوا سهامهم نحو حكومة بلادهم التي رفضت آنذاك استقبال الخميني في الكويت بعد إخراجه من العراق وقبل توجهه إلى فرنسا, وأصدر ((أنصار الإمام الخميني)) منشوراً

---

[1] ( ) وجاء دور المجوس ص 321.

قبل الإطاحة بالشاه وقبل انتصار الثورة, كالوا فيه السباب والشتائم لحكومة بلادهم لأنها رفضت دخول الخميني الذي اعتبره المنشور ((المرجع الأعلى للطائفة الشيعية))[1] .

ولا شك أن توزيع مثل هذا المنشور في وقت لم تكن الثورة قد نجحت وحققت أهدافها يعني أن ثورة الخميني قد أعطتهم شحنات كبيرة, وبدأوا بالعمل والتصرف بناءً على أساس انتصار الثورة, وبدأ الكثير من الشيعة ينتقلون إلى إيران للدراسة والحياة معتبرين أنه وطن جميع الشيعة بغض النظر عن جنسياتهم[2] .

حرب الخليج الأولى:

ومع اندلاع الحرب العراقية الإيرانية سنة 1980, ووقوف الكويت إلى جانب العراق, اشترك بعض الكويتيين الشيعة كمتطوعين في القتال ضد العراق[3] , وكان شيعة الكويت الورقة التي استخدمتها إيران لمعاقبة بلادهم بسبب مساعدتها للعراق, وسرعان ما نظّم الشيعة صفوفهم خلف إيران, وارتكبوا في ثمانينيات القرن الماضي ما يندى له الجبين كتفجير بعض السفارات الأجنبية سنة 1983, ومحاولة اغتيال أمير البلاد سنة 1985, واختطاف طائرتين مدنيتين كويتيتين, وتنفيذ تفجيرات في أماكن مختلفة, الأمر الذي جعل الكويت تعيش قيوداً واضحة على الحياة السياسية[4] .

وإضافة إلى التخريب الذي ارتكبه الشيعة في الكويت, فلقد كان لهم دور بارز في دعم التنظيمات الشيعية في الخليج وخاصة في البحرين للعمل ضد بلدانهم, وقد كشفت مجلة الوطن العربي في عددها الصادر بتاريخ 28/6/1996م مخططاً إيرانياً, لتوتير الأوضاع في البحرين من خلال تقديم شيعة الكويت أو ما أطلق عليه (حزب الله الكويتي) الدعم لشيعة البحرين (حزب الله البحريني) بمساهمة من حزب الله اللبناني.

وإضافة إلى البحرين, كان للشيعة في الكويت دور ملحوظ في أعمال التخريب التي شهدتها مكة المكرمة في موسم حج سنة 1409هـ (1989م), وعند إلقاء القبض على المخربين, تبين أن بعضهم يحمل الجنسية الكويتية, ذلك أن شيعة الكويت كانوا في ذلك العام (1989) يؤدون الدور نيابة عن الإيرانيين الذين كانوا قد قاطعوا موسم الحج بسبب رفض السلطات السعودية لأنشطتهم التخريبية في موسم الحج السابق.

حرب الخليج الثانية:

شكل غزو الكويت حرب الخليج الثانية (1990-1991) مناسبة ذهبية لشيعة الكويت للظهور والارتقاء, ذلك أن الذي قام بالاعتداء على بلادهم هذه المرة هو صدام حسين الذي كان يحارب إيران قبل سنوات قليلة, وقد استطاعت هذه الأزمة أن توحد المشاعر الكويتية تجاه العراق باعتباره عدوّاً لا مجال للوفاق معه, واتخذ السنة في الكويت والشيعة موقفاً متطابقاً تجاه

---

[2] ( ) الشرق الأوسط 1/7/1999.
[3] ( ) النورالعدد 120 ص 9.
[1] ( ) وجاء دور المجوس ص 340-343.
[2] ( ) انظر مقابلة الشيعي الكويتي عباس بن نخي حول الثورة الإيرانية, وهو كان قد مكث في قم بإيران 12 سنة (1981-1993) ... الوطن 2/10/2000.

العراق وصدام حسين, كما أن النظرة الكويتية بدأت تتغير تجاه إيران, فإيران التي كانت بالأمس معتدية صارت اليوم إحدى ضحايا نظام صدام, خاصة وأنها أعلنت أنها لن تقف إلى جانب صدام –عدوّها اللدود- في هذه الحرب .

وهذه التطورات تجاه إيران تزامنت مع وفاة الخميني, واستلام هاشمي رفسنجاني رئاسة الدولة, الأمر الذي ظنه العالم بأنه انتهاج لسياسة إيرانية جديدة تقوم على الحوار والاعتدال بدلاً من سياسة تصدير الثورة الصدامية التي عمل بها الخميني.

وبالرغم من أن الأيام اللاحقة أثبتت أن سياسة تصدير الثورة ما زالت سارية وإن كانت بأساليب جديدة, إلا أن دول الخليج ودولاً عربية أخرى ومنها الكويت بدأت بتحسين علاقاتها مع إيران وتطوير التعاون الاقتصادي, وتوقيع اتفاقيات في كافة المجالات, وقد كان من شأن هذه العلاقات الودّية الجديدة بين الكويت وإيران أن تؤدي إلى توسيع نفوذ شيعة الكويت, خاصة وأن إيران اتخذت موقفاً داعماً للإطاحة بالنظام العراقي سنة 2003, وإن تطلب الأمر تقديم العون والمساعدات للقوات الأمريكية وحلفائها, وهو الأمر الذي كانت تتمناه الكويت منذ سنوات طويلة.

وجاءت بعض حوادث مهاجمة الأمريكيين من قبل جماعات سنيّة, وقبل ذلك أحداث 11 سبتمبر في الولايات المتحدة, واتهام تنظيم القاعدة بارتكابها لتعلي من أسهم الشيعة الذين استعانت بهم الحكومة الكويتية لتعذيب إسلاميين كويتيين, اعتقلتهم الحكومة الكويتية في أعقاب حوادث الاعتداءات على الأمريكان في الكويت, وقد تبين أن معظم الذين قاموا بتعذيب هؤلاء المعتقلين هم من الشيعة[1] .

الراصد

[3]( ) هموم الأقليات ص 304.
[4]( ) الأصولية في العالم العربي- ريتشارد دكمجيان – ص 213.
[1]( ) موقع مفكرة الإسلام 14/10/2002.

خاتمة

استعرضنا في معرض حديثنا عن شيعة الكويت, أصل ذلك الوجود وأنه يعود إلى تأسيس القرامطة, وهم من الشيعة الإسماعيلية, دولة لهم في شرق الجزيرة العربية أثناء الحكم العباسي, ثم لعبت الهجرة المنظمة من إيران إلى أقطار الخليج في ظل ضعف إمارات الخليج وتواطؤ الاستعمار البريطاني دوراً كبيراً في زيادة أعداد الشيعة في الخليج, ومنها الكويت, حيث أصبحت نسبة الشيعة في هذا البلد حوالي 20% من مجموع السكان بحسب ما تذكره بعض المصادر التي تتنازل قضايا الأقليات, وإن كان الذي يتردد في الكويت أنهم بحدود 10% فقط.

ويتجاذب العمل الشيعي في الكويت تيارات عديدة, منها ما هو علماني يميل نوعاً ما إلى الحكومة, وينتقد سيطرة رجال الدين على العمل الشيعي, ومنها ما هو ديني, وهو تيار عريض يؤيد جزء منه ولاية الفقيه الإيراني, وجزء آخر يتبع المرجع الشيرازي فيما يشكل التيار الثالث طائفة الشيخية.

وعلى اختلاف تياراتهم وتوجهاتهم, نشط شيعة الكويت في كافة المجالات الدينية والثقافية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية, فبادروا إلى إنشاء المساجد والحسينيات والمدارس والجمعيات والهيئات وطبع الكتب وإصدار المجلات, وإقامة المآتم والاحتفالات وقد استفادوا في ذلك من جملة من المتغيرات الداخلية والخارجية, بحث أنه لم يعد هناك سقف لمطالبهم, وبات من المألوف أن تطالب الأقلية الشيعية في الكويت بما يخالف ما عليه الأكثرية السنيّة في هذا البلد, بل وممّا يثير الاستغراب أن يتحول هؤلاء فجأة إلى مواطنين صالحين حريصين على بلادهم, بعد أن مارسوا صنوف الإيذاء والتخريب ضد بلدهم ومواطنيهم, كما تجلى ذلك في حوادث خطف الطائرات وتفجير السفارات الأجنبية ومحاولة اغتيال أمير البلاد.

المراجع:

1- وجاء دور المجوس – د. عبد الله الغريب.

2- الشيرازي: المرجعية في مواجهة تحديات التطور – أحمد الكاتب.

3- الأصولية في العالم العربي – ريتشارد دكمجيان.

4- همـوم الأقليـات – التقريـر السـنوي الأول الصـادر عـن مركـز ابـن خلدون للدراسات الإنمائية في مصر لسنة 1993.

5- التاريخ الإسلامي – محمود شاكر – الجزء السابع.

6- الشـيخية: نشـأتها وتطورهـا ومصـادر دراسـتها – محمـد حسـن آل الطالقاني.

دوريات ومواقع:

1- النور (لندن).

2- الوطن العربي.

3- الوطن الكويتية.

4- صحيفة الرأي العام الكويتية.

5- صحيفة الشرق الأوسط.

6- صحيفة اللواء الأردنية.

7- موقع مفكرة الإسلام.

8- الوكالة الشيعية للأنباء.